دار ومرسى وصبيّة

مجموعة قصصية

"بين الذكريات
والبحر تستعيد الروح
ما ضاع من أحلامها
وما تبحث عنه من وطن."

زكريا الشافعي

المجموعة
القصصية
الخامسة

اهداء

الى كل اولئك الذين يوحون الينا بالقصة والجكاية . هؤلاء الذين يستحقون ان نعطيهم اسماعنا ونمنحهم قلوبنا

المحتويات :

١-دار ومرسى وصبيه

٢-الله يرحمك ياامين

٣- زيارة السيدة الاولى

٤- ابويا فهمى

٥- القرعة وام شعر

٦-موقف غريب

دار ومرسى وصبيه قصة قصيرة

لم ينقطع طيلة الخمس سنوات الاخيرة عن المشاركة فى تلك الندوات والمعارض التى تنظمها هذه الدار الشهيرة فى ذلك المكان الراقى فى قلب الاسكندرية . فهو احد اعلام فن التصوير الزيتى وصاحب مدرسة حديثة وهى ليضا فرصة للقاء فنانى ومثقفى المدينة العريقة .

فى احد تلك المعارض قابلها .كانت تزور المعرض وتتنقل بين لوحات الفنانين والاعمال التشكيلية من نحت وخلافه . امراة تتحرك فى رشاقة الاربعينيات بحذاء ذو كعب عال لايقل عن عشرة سنتيمترات رغم انها تخطت الخمسين . تبدو فى اناقتها كاحد نجمات السينما فى. كان ذلك العقد الذهبى الثمين الذى ترتدية حول رقبتها والبروش اللازوردى على صدرها، الفستان ، شنطة اليد التى تنتمى الى احد الماركات العالمية الشهيرة تدل على انها احدى سيدات المجتمع الاثرياء .. ... خلعت نظارة نظر كانت تستعين بها وهى تتفحص اللوحات والمنحوتات فى المعرض ..

مدت يدها وهى تبتسم وقد كان لتوه قد ادرك انها تقترب منه من صوت كعب حذائها العالى . بدا له الوجه مألوف
-ازيك يااستاذ عاصم ..... (نطقت الاسم ثلاثيا).
فى الحقيقة لم يندهش كثيرا فاسمه ضمن قائمة من يعرضون اعمالهم فى هذا المعرض وكثيرون يعرفونه لكونه احد هؤلاء المعروفين فى هذا المجال.
لكن الغريب هى تلك الابتسامة وهذى العينين .. لقد كانت هى .

قذفته الذكريات الى قبل خمس وعشرين عاما من الان .

ياللعجب انها هى حقا ..! بعد كل تلك السنين .. !
بعد ذلك بقليل كانا قد انتحيا جانبا عند ذلك البوفيه الصغير التابع للمعرض وجلسا . اشارت لفتاة فى العشرينات كانت مساعدتها او سكرتيرتها ان تبقى فى قاعة العرض.
....وعادت به الذاكرة الى الوراء سنوات عديدة .شتاء العام ١٩٨٨
كانت زخات المطر الذى بدأ لتوه تبلل طريق الشارع الفسيح ونسمة هواء باردة تجرى على طول الطريق .اضواء مصابيح السيارات القليلة العابرة تتراقص على صفحة الطريق والرصيف الفسيح الذى بدا شبه خال من المارة

..كان هو يقف خلف زجاج ذلك الرستوران الفاخر يرقب تلك الفتاتين والذى كان بحكم معرفته وخبرته يعرف انهما بنات ليل ، .كانت احداهما فتاة شابة فى العشرينات والاخرى امرأة مكتنزة تبدو اكبر سنا .حين اقتربتا اكثر اشتدت زخات المطر وفى لحظة كان قد اشار اليهما ان يحتميا تحت تلك التنده فى الخارج .. ثم لم تلبث احداهن ان ارادت الدخول لتقضى حاجتها .فدخلتا سويا..
كان هذا هو اول معرفته بها كانت هى الثانية الاصغر سنا .كانت ترتدى فستانا ضيقا يبرز ثنيات عودها البض الملىء وحذاء احمر ذلك اللون الفج الذى كان كانه علامة على مومسات

تلك الفتره . وجه اخر خفى للمدينة العريقة قريب من محطة الرمل مكان يمكنك ان تلمح فيه بائعات الهوى يتسكعن حول هذا المكان . هنا حيث كانت تعقد صفقات الليالى الحمراء فى ذلك المكان القريب من مسجد شهير يجتمع اليه فى صلاة الجمعة خلق كثير ليستمعوا الى الشيخ الجليل الجرىء الذى كان ينتقد الاوضاع والحكام علانية .! هذه المدينة تدهشك بوجوهها المختلفة المتنافرة التى تعيش معا كان يعرف هذا بحكم وجوده فى الجوار . يكاد يعرفهن واحدة واحدة فقط لانه كان يجلس كثيرا خلف الزجاج .نعم كان يرى الاخرى التى لاتخطؤها العين من وقت لاخر اما هذه .. لاشك انها جديدة فى الكار !.
كان هو يافعا وسيما .هادئا صبورا بارعا فى قربه من الناس . لديه عينان ساحرتان تنفذان الى دواخلك لتعرف وتكتشف .. كان القديس الزاهد بين زمرة من صحب كلهم عابثون يحيون حياة صاخبة . فى ذلك الهدوء كانت كل ترابيزات ومقاعد الرستوران فارغة .جلست على احداها و راحت تجفف ماابتل من ثيابها كانت تنظر الى كوب الشاى فى يده فاحضر لهما شايا ساخنا .. حين سألها عن اسمها كان وائقا انه لن يكون اسمها حقا . لكنه فقط اراد ان تكون البداية ليفتح حوارا فيعرف عنها شيئا. وكان الحوار كافيا ليعلم انها فتاة جامعية !

صدمته ... . نعم صدمته فقد تأكد ببساطه انها جامعية حين سألها عن تفاصيل لايعرفها الا طالب جامعى . لم يكن من السهل خداعه .. فان اسم الدكتور الفلانى والمادة الفلانية و مدرج كذا تفاصيل لايعرفها الا طالب جامعى .... ولم يكن يتصور ان تكون احدى هؤلاء الساقطات فتاة جامعية فى اولى سنوات الدراسة ... . شىء ما فى داخله جعله يعرض عليها العمل فى الرستوران . كتب على ورقة صغيرة اسمه ورقم التليفون ودسه فى شنطتها..
وبعد اسبوع عادت ..
راحت فى سرعة مدهشة تتعلم اصول المهنة فتعلمت فى بضع اسابيع ماانقنه زملاؤها فى الرستوران العريق فى شهور وسنوات . كان كل شىء يعاندها وكانت تعاند كل شىء .كان هناك الف سبب يجعلها تستسلم وتيأس لكنها قاومت واصرت . ضايقها زملاء العمل . اسمعوها ماتكره . دبروا لها المكائد . لكنها عاندت تحملت سخافات بعض الزبائن . كانت تعرف كيف تزوغ بلباقة . كانت مجتهدة مواظبة منضبطه وكانت جريئة احيانا حد السفالة ! لايهمها شىء ولاتخاف شيئا ، تقحم عينيها فى عينى اى احد وكل احد .عينان تقدحان شررا تثور كالنمرة اذا واجهت التحدى . عينان جريئتان لكنهما رغم ذلك كانتا تذوبان خجلا امام عينيه .

سمعها مرة وقد كانت تتشاجر مع احدهم وكان قد اسمعها ماتكره وعيرها بما عرفه عنها لم تعد تحتمل هذه المره فى ذلك اليوم سمعها تجادل زميلا لها .. وقفت ترد الكلمة بعشرة ! فكالت له سبا فاحشا وكلاما بذيئا ألجمت به الفتى الذى تبددت بسمة السخرية من وجهه ..

.. ماكان يعنيها ان احد ما يسمع ماقالت ولم يضايقها يومها ولا فى اى يوم ان يسمعها كل من حضروا الشجار . ضايقها فقط انه سمع ورأت الغضب فى وجهه ورأت عيناه تنكرها

وتتحاشى النظر اليها .. فى ذلك اليوم اعتذرت له بكلمة واحدة فقط قبل ان تغادر المكان ولم تات فى اليوم التالى ولا اليوم الذى بعده ... لقد رحلت

...

اتصل بها ...
وعادت كمن منح نفسه اجازة .. لكنها فى الحقيقة عادت فقد كانت فى حاجة لان تعمل وفى حاجة للمال وفى حاجة لتكون فى المكان والزمان

كانت فى حاجة الى قرب من تدين له بشىء يحمل لها معنى والى شىء يحميها من نفسها ويقوى ضعفها .
ولم يكن ثمة غيره .. هو بعينه الذى كان ياسرها بمثاليته . بنقاءة النادر . بحضوره المختلف . كانت طيلة ايام وجودها فى هذا المكان تستكشفه . ترى مواقفه تقيس افعاله تبحث عن اسراره .

شغلها كل شى فيه .. جست كل حصونه راحت تتجسس ثغراته .. ووجدت فى صومعة الراهب ثغرة !

كانت ثمة امرأة فى حياته ... سمعته يحادثها على التليفون حديثا خافتا لم تتبين منه شيئا لكنها رأت عينيه تتألقان فرحا وسعادة . ثم مرت الايام فرأته يجلس اليها فى هدأة العمل فى تلك الترابيزة فى الركن البعيد .. كانت حبيبته وحبه العفيف جمالا هادئا وقورا ....

لم تستطع ان تخفى فضولها ولاغضبتها . قالت عنها شيئا لم يعجبه .... كان رده عليها شديدا حازما .

اشياءا كثيرة تغيرت بعد عام واحد . تزوجت حبيبته وسافرت تركته فاكتوى حرمانا وقهرا .كان صمته الذى يتوارى خلفه يفضحه وكانت عيناه المثقلتين ألما وسهدا تكشفانه . كان قد كتب على حبه هذا ان يوأد فى صدره .

..قتلته ام حبيبته التى طلبت رؤيته ذات يوم . امراة حديدية تملك كل شىء تدير مؤسسة تجارية لعائلة من كبيريات العائلات لها صلات قوية واقارب فى مناصب مرموقة فى الوزارات .متكلمة قوية الحجة .وفى مكتبها بعد ان انتظر طويلا .منحته ربع ساعة كانت كافيه لتنحر قصة حبه لابنتها من الوريد الى الوريد .... لقد كانت تعد لابنتها زيجة ديبلوماسية من احد اقاربها.

كانت الظروف اكبر من قدرته على ان يفعل شيئا .. لم بشفع له اسم عائلته ولا وسامته ولاای شیء .. فراح يعزى نفسه البائسة بالعمل ليل نهار . يكاد يمر من الاسبوع اكثره فلا يعود لبيته .

. رأته يدخن ويشرب لاول مره فى حياته .. رأته وهو ينهار ..

ثم راته وهو ينام مستغرقا كالطفل فى هدأة الصبح على منضدة قديمة فى المخزن .

ايقظته يدها وهى تضع شيئا لينا تحت رأسه ..

وفى اليوم التالى ايقظته قبلة على جبينه !.

وفى المرة التالية فعل مالم يفعله فى حياته من قبل ..

لايدرى حينها هل كان يداوى نفسه بالتى كانت هى الداء . هل كانت دواؤه ؟ هل تجرع ترياق ألم ينسيه عذاباته التى لاتبقيه صاح ولا نائم . لقد منحته ما كان كافيا ليبقية حيا واقفا على قدميه . منحته مشاعر لم يكن يدرى انها صادقة ام كاذبه . لقد عاندت نفسها وصارع نفسه لكنهما كانا كلما ابتعدا اقتربا .كانت هى وحدها التى اقتحمت عليه صمته وكشفت له نفسه . وكان هو ضوء لياليها الصعبة وسندها حين تحتاج الانثى الى رجل تركن اليه فعادت الى دراستها .كانت اول مره يرى دموعها العنيدة حين وضع فى حقيبتها ذلك المبلغ الذى يوازى راتبه فى شهر ..لم يكن فى حاجة الى المال زهد فى كل شيء ..وكانت فى بداية عامها الثالث فى الجامعه ويعرف انها ستحتاجه ...
كانت كانما نذرت نفسها لتضمد جراح قلبه .كانت راضية سعيدة طالما انها بجواره . .
اصطحبها الى كل تلك الاماكن التى يعشقها وفى احداها اهداها خاتما . ضحكت وهو يضعه فى يدها وهى تقول " بقيت زوجنك .." .

كان الرجل الناضج فى داخله طفلا يلهو حينا ويعبث احيانا يتشبث بالحلوى بين يدية حينا ويكسر لعبته احيانا .كان حبا صارخا ألما ووجعا ومتألما عاطفة وغيرة ومتاهة.
كان يَبكيها ويُبكيها يطعنها ويداويها . يبقسو عليها ويحنو . كانت جنته وناره . يكره ان يمسها يعذبه ماضيها ثم اذا التقاها بقبل اطراف ثوبها واهداب عيونها . كانت روحه وعشقه وجنونة ورغبته . وكانت سكينا يطعنه فى قلب روحه وقرار نفسة . دوما كان يقف عند هذا الحد ليعود ادراجه يحيا حياة ليست حياته .ستكون اى شى الا ان تكون زوجته ! لم يستطع ان يقبل ان تكون شريكة حياته امراة منحت نفسها لرجل اخر او رجال اخرون . تخيل طفولته ولغبتة التى لم يكن يسمح لاحد ان يشاركه فيها . ملابسة . اقلامه . سريره . وسادته ... كل شيء .
حتى تلك الجريدة التى اعتاد ان يقراها يوم الجمعة وماكان ليسمح لاحد ان يقراها قبله . كم . وكم ..

. ... حين جاءئه فرصة عمل فى مكان بعيد قبلها .. كان كانما يعاقب نفسه ... يبعدها... ينفيها .

نفسه المعذبة التى اكتوت من حب شق قلبه نصفين .حب ضائع فاشل لم يبق منه الا ذكرى ..وحب اخر يراه كالاثم .. كالكبائر . ويراه احيانا كانفاس حياته وروحه التى بين جنبية . حب لارجاء فيه . لارجاء منه . حب لايدرى اهو الداء ام الدواء .. دا يلقى به بعيدا يغمى عينية ويسير به نحو هاوية ام الدواء الذى ينسيه جراحاته الغائرة التى تنزف مرارة ووحدة وشقاءا ...

وفى لحظة كتبتها الاقدار كان الرحيل .لقد اختار بعدا ومسافة تتيح له الاختلاء بنفسه بعيدا يريد ان يصنع دواءة بيديه يريد ان يملك نفسه الذاهبة الراحلة عنه . يريد ان يسترد روحه التى تنزف ألما من تلك التى رحلت فتركته معذبا ومن هذه التى اسرته بحاجتها اليه وحاجته اليها . سيبتعد ليجد نفسه فكل الحلول سواء ...

يعرف فى قرارة نفسه ان الزمن يجد دوما حلولا ... يفلح البعد كثيرا فى رتق الجراح ...فى النسيان . دائما يصنع النسيان المعجزات ..

لكن الثمن قد يفوق قدرتنا على التصور . يتعدى احتمالات البعض يستزف الروح حتى الموت ... ثمن باهظ وتكلفة لاتحتمل لانه دم ولحم ..وانها ايام العمر والحياة .. وانفاس الروح .

رحل هكذا ببساطة ذات مساء . رحيل كالموت . حمله الباص فى عتمة الليل بعيدا بعيدا الى عمل فى احدى القرى السياحية فى البحر الاحمر فى اقصى الجنوب

وتشبثت هى برجل يبحث عن امراة تملأ عليه حياته التى تخلو من امرأة . كان رجل يبحث عن امراة يقضى معها ليلة فجعلته يقضى عمره كله او ماتبقى منه معها . صفقة مرضية لم يكن ثمة افضل منها لها وله كان الرجل يكبرها باعوام كثيرة سكندرى من اصل يونانى مقطوع من شجرة لااقارب له فيها .كان رجلاعابثا لكنه كان ميسور الحال يملك عقارا ومحلين فى واحد من اغلى واهم شوارع محطة الرمل .كان ترزيا لامعا وصاحب ابتكارات فى الموضة .....

فى ذلك اليوم بعد عام التقيا بعد غيبة اخبرته انها ستتزوج من هذا الرجل كانت سماوات المدينة الساحلية تبرق وترعد وكانت تمطر مطرا كأنه البكاء . صمت ثقيل ورياح تقطع السكون الحزين تصفر فى الابواب المغلقة ونثز فى فتحا ت النوافذ الضيقة .. وفى ذلك الميدان الفسيح الذى راحت الرياح تضرب فى ساحتة وتطير اوراق واكياس لتعبره امتدت الايدى لتتصافح . سلام بطعم المرارة بعيون تحجر فيها الدمع وقهرتها المشاعر .اراد ان يحاسب التاكسى رمقته بنظرة اصرار واغلقت الباب فانطلق بها ولم تنظر حلفها !

لقد تزوجت زواجا مدنيا عند محام كانه عقد بيع وشراء !

ولم يرها بعد ذلك ..

.....
نظرت الى اصابع يدة اليمنى وسالته : تزوجت !؟

لم يجبها ..

اقترب منهما شاب وفتاة وطلبا ان ياخدا صورة تذكارية معه كانا بلاشك من طلبة الفنون ..فقام مبتسما معتذرا ووقف حتى ومضت كاميرا التليفون المحمول فى يد الفتى .

حين عاد ليجلس رأى تلك الابتسامة العريضة على وجهها..
اعطته رقم تليفونها وطلبت تليفونه فقد كانت ساعة قد مرت . لقد اخبرته انها عثرت على اسمه من تلك المواقع على الانترنت كانت تقلب الصفحات والمواقع على تليفونها المحمول الذى لايفارق يدها فرأت اسمه ثم رأت صورته فعلمت انه هو.
ضحك حينها لانه علم انها لاتهتم لا بالتصوير ولابالرسم ولابالنحت...
لقد جاءت فقط لتراه

...كانت سنوات ذلك العمل الذى فر به او فر اليه سقوط حتى القاع. سقوط راح يتلوه سقوط شُربٌ حتى الثمالة ومسير حتى الحافة . تعلم ان يشرب واستطاع ان يدخن الماريجوانا والحشيش وكل تلك الاعشاب التى كانت اكثر من خبز القمح . عرف مايبقيه منتشيا حالما ساهما واستطاع ان يشرب مايبقيه ثورا يدور فى ساقية يجر محراثا تحلبه بنات حواء تستنزف زهرة فتنتة وماء عمره . كان هذا هو هروبه ..! مستجير من الرمضاء بالنار . فى عمله فى تلك القرية السياحية فعل كل خطيئة ... وكسب مالم يكن يحلم به وانفقه سريعا كما جاء به هكذا كما يقول **easy come easy go** " مایاتی سریعا یذهب سریعا

.. هناك كان يعمل وهناك كان كل شىء متاح .. كان صديقه يقول ان الشيطان رحل عن هذا المكان لانه لم يجد له عملا فقد تفوق الناس هنا عليه فقد فعلوا مالم يخطر ببال وسوسته !

.وهناك عرف لاول مره طعم النساء . كل انواع النساء . كن اطوع اليه من اصابع يده كأنه ساحر .. الاجنبيات السائحات والمصريات اللاتى كن يعملن هناك .. طيلة ايامه هناك لم ينقطع ذلك النبع الاثم من افخاذ النساء اللاتى كن يحمن حوله كفراشات الليل كذبابات المصابيح .كان لكل واحدة قصة وحكاية .. سائحات اتين للمتعة فتنتهن الطبيعة الساحرة والجو الدافىء ونساء اتين من بيوتات خربة وواقع اليم مذر وهروب من عذابات وشقاء وفقر مذل . كان فى روعة الشباب وسيما جميلا فاتنا يتوقد نارا ونورا . كأنه حطب جاف مسته نار .كان يطفىء ثورة شبابة وفتوتة كسيجارة مشتعلة او كنار مخيمات رحلات السفارى التى يشعلونها ليلا وسط الخيام فى صحارى ومنتجعات البحر الاحمر .. كان يعمل ليل نهار اشد مما يحتمل بشر واكبر من طاقة انسان لينسى . .. ولم ينس ..! .

. عشقته انيتا الالمانية التى تعمل فى مركز الغطس علمته ان يشرب الفودكا الروسية . حامية كالشطة السودانى . كان فريق الغطس فى القرية من الاجانب من عدة بلدان اوروبية يعرفون بعضهم البعض .كانوا يشربون بالقدر الذى يبقى اجسادهم حية نشطة . فهو ابدا لم ير احدهم

يهذى من سكر .بل كان بعضهم لايشرب اصلا. كانت انيتا المانية الجنسية فى الثلاثين من عمرها تدرب على الغوص تصاحب هواة الغطس لمشاهدة الشعاب المرجانية والاسماك الملونة الجميلة التى كانت تنتشر على طول الساحل وفى تلك الجزر والمحميات الطبيعية وكانت كل ليلة تشرب كاسا او اثنين .. كانت اكبر منه بسنتين شقراء كقطعة الحلوى بيضاء كالقشدة . مشدودة القوام ، ممشوقة كجندى منتصب فى الصف .جادة قوية الشخصية . اوقد دفء شمس الشرق فى بياض بشرتها حمرة . جمعتهما تلك اللحظة التى كانا يجلسان فيها على شاطىء البحر عند المغيب . نغيب الشمس فى الجبال خلفهما ويبقى البحر صامتا فى هدوء ينتظر الصبح الجديد .. كانت نسمات العصر اجمل اوقات اليوم وكان له تلك الشرفة التى كان يحب الجلوس اليها يحتسى فنجان النسكافية الكبير !

احبت جلسته وحديثه وفرنسيتة الراقية . كان هو من اسمعها وترجم لها الكلمات الى الفرنسية .. اسمعها ام كلثوم وعبد الحليم وفيروز ... لاينسى ذلك اليوم الذى راحت تردد فى مرح كلمات احداها بعربية مكسرة " على حسب الريح مايودى الريح مايودى .. واياه انا ماشى ماشى ولابيدى " .. ضحك حتى كاد النسكافية يسقط من يده !

فى ذلك اليوم وعلى نور قمر يضىء صفحة المياة الهادئة الساكنة للبحر الاحمر كان

جهاز المسجل الصغير الذى يعمل بالبطاريات يكاد المقطع الاخير من اغنية عبد الحليم " سافر من غير وداع " ينتهى وهو يترجم ويسكت حتى رأى دمعة تتسلل من عينيها ... فى ذلك اليوم قبلها واحتضنته طويلا قبل ان تتركه لتذهب الى مبيتها فى مركز الغطس بجوار القرية .

فى يوم امسكته من يده ببساطة واصطحبته الى غرفتها !

كانت " انيتا " امراة تمارس الجنس كأنما تمارس طقوس عبادة ، لها ترتيب وايقاع ورتابة كماكينات مصنع يعمل يالربوتات . كانت جسدا مرسوم كانه نحت بازميل نحات ايطالى فبدت كاحد الهة الاغريق القديمة .

كانت هى من تدير هذا الحوار . حوار الطبيعة بين الرجل والانثى ، فاذا انتهت كانت باردة صامته كتماثيل الخزف .

سحرته فتاة مصرية تعمل فى خدمة النزلاء . وجه صبوح ضاحك . تضحك فى كل وقت حتى لكانها ولدت ضاحكة . شقية ، مرحة . اعجبته جرأتها ومرحها ولم ينقضى وقت طويل حتى كان قد تعلق بها وتشبثت به .. كانت اكثرهن فتنة كان دوما يقتنص منها القبلات الجائعة المتلهفة فى احد تلك الزوايا المظلمة فى القرية الساكنة ... . لم يكن باستطاعته ان يقاوم احتياجه لها .

لم تكن قد اكملت عامها الثامن عشر ولم تكن عذراء بريئة على صغر سنها . بل كانت صارخة الانوثة كامراة ناضجة .. شديدة ، صاخبة ، خرطها خراط البنات قبل موعدها فاستدار عودها وتفجرت انوثتها . خصر ضامر على ارداف ممتلئة ترتج اذا قامت واذا قعدت . كانت

هى ايضا تهيم به عشقا وتشتعل فيه رغبة . تكاد تصارعه وتعتصره فى احضانها... ... فكان يحوطها بذراعية يلصقها بصدره ويدق جدرانها . . يرضي شغفها ولهفتها به ايضا . يكبح يديها الثائرتين اللتان كانتا فى حومة شبق تخمش جسدة فتكاد تدميه . كأنه فارس على صهوة مهرة عنيدة يروض ثورتها . لايدرى كيف كان اسمها " صباح " " وهويدا " ايضا ... !!

حكت له عن زوج امها الذى تزوجته بعد ان دخل ابيها السجن فى سرقة كبيرة . حكت له وهى تضحك كيف رأت زوج امها هذا من ثقب الباب حين تسللت فى هدأة الليل وتناهى الى سمعها صوت صرير السرير الحديدى رات ذلك الرجل الذى يعمل "بودى جارد" فى احد النوادى الليلية يعود فى غبشة الفجر رأته وهو ينشر امها ويطويها. كان سكرانا . سمعت امها وهى تسبه وتلعن سنسفيل اهله .. ورأته كثيرا وهو يرمقها بعينيه وهى تجىء وتذهب ... حتى اختلى بها يوما .. .

ومنعها الف مانع من ان تتكلم .. لم تجرؤ ان تقول لامها . فلما سكتت فعلها ثانية ..

لكن حين لاحظت امها نظرات زوجها لها اخبرتها ان لامكان لها فى هذا البيت .. ! .

كانت تهرب من البيت لتسافر الى الاسكندرية عند جدتها ام ابيها التى كانت امراة صاحبة كيف ! تملك بيتا قديما فى بحرى يدر عليها بالكاد ماتحيا به . كانت تتدبر امرها من خدمة تؤديها هنا اوهناك لبعض ربات البيوتات الراقية . كانت امراة حلوة اللسان لبقة . فتح لها جميل حديثها الابواب لكنها كانت امراة تشرب بكل مايمكنها ان تدبره من مال . كانت تقول ان علاجها البيرة . تشرب البيرة "ستيلا" كما تشرب الماء . كانت الفتاة تهرب اليها . لم يتبق لها احد فى الدنيا بعد ابيها الا هى .. و كانت هى من وجد لها عملا كخادمة فى احدى البيوت ... عملا لم يطل بها فقد طردتها سيدة البيت بعد ان رات ابنها خارجا من حجرة نومها ذات ليلة . كان الهروب الى البحر الاحمر الى هذه القرية السياحية لتعمل بعيدا عن امها وزوج امها وجدتها وكل هؤلاء الذين اكتوت بقربهم . كان اذا حان وقت اجازتها فضلت ان تبقى فى القرية فلم يكن ثمة مكان تذهب اليه ولا انسان تأمن له !

كانت تبقى فى القرية والفندق لاتغادره حتى فى تلك الايام التى يمنحونها اجازة كان عملا مجهدا لكنها استطاعت ان تتكيف معه . كان العمل فى هذا المكان البعيد هو افضل ماحدث لها. ولانها لم تحصل عل قدر كاف من التعليم فكانت تتنقل بين الاعمال اليدوية " مابين "عاملة نظافة" الى "عاملة فى المغسلة" . كانت الادارة تضطر احيانا الى الاستغناء عن بعض طاقم العمل . لكنها بقيت لانها تجملت اكثر من غيرها وصمدت فى شدة العمل احسن من غيرها

رآها ذات يوم بعد انتهاء العمل تبكى بكاءا مريرا . لقد عرفت ان اباها بعد محاكمة طويلة قد اخذ حكما نهائيا بالسجن عشر سنوات .. اختفت فى غرفتها طيلة المساء . تسلل الى حجرتها فى ذلك اليوم فى منتصف الليل كانت لاتزال تبكى .فالتصقت به كالطفل . وسالت دموعها عى ذراعه ونامت فى حضنه حتى الصباح !

فقط نهض مبكرا وتسلل مغادرا حجرتها ووضع راسها على الوسادة . ليلة قضاها يرعى عيونها المغمضة النائمة وانفاسها المتهدجة فى استغراق وطفولية بجوار قلبه .

كان يترك لحيتة اياما . لايمشط شعره . يرتدى ذلك التى شيرت الرمادى الذى لوحته الشمس . يحتسى ذلك الكوب الكبير من النسكافية الغامق يتجرع مراراته فى كل طلعة صبح وفى العصارى الساكنة بعد حر الظهيرة وعند كل رغبة فى ليل طويل يسهر فيه يناجى ايامه . وكان يصحو ذات يوم فيحلق جيدا يمخض جسدة عطرا يمشط شعره يدهنه حتى تظنة ذاهب الى حفل زفافه. ينتقى احد تلك القمصان المتراقصة الالوان البديعة الرسوم .

وقد يختلى بنفسه ساعة حتى تظنه قد غادر الدنيا .. وتخبئة الاماكن حتى تطنها قد اخفته

جلس على اعلى سطح الفندق .. يمتد البحر امامه وقد خيمت عليه عتمة المساء . حين لمح تلك الفتاة من جلستة تلك وهى تتسلل من حجرة احد النزلاء الاجانب ... . كان اسمها " سعيده " لمحها تدس نقودا فى حمالة صدرها .. انتفض للمشهد الذى لم يستغرف ثوان . راح لعدة ايام بعدها كلما رأها ينظر الى ذلك الجزء الذى اخفت فيه الورقات الخضر .. اخبرها ذات يوم انه رآها لم يعنفها فقط اخبرها انه يعرف ....

كان يراها تتحين الفرص لتكلمه . يكاد يلمح الخوف فى عينيها . ..فلما يئست ارادت ان تشترى سكوته تسللت الى حجرته وعرضت عليه نفسها ابتسم وربت على كتفها وتركها . فقط اخبرها ان تنتبه .. ! .

ومرت الايام لتراه فى عشية رأس السنه يتلمس طريقه يكاد لايقوى على السير فى غبشة الفجر بعد ان لعبت كل الكؤوس التى تجرعها برأسه عشية ذلك اليوم . يوم بارد لكنه كان يشتعل . امسكت به وهو يكاد لايعرف الطريق الى غرفته . امسكت بذراعة تكاد تحمله . وهو يتغزل فيها ويقول مالا يقوله الا من اذهبت الخمر عقله . كانت غارقة فى ضحك مكتوم من كلماته الفجة وتعبيرات الوقحة . القته على سريره وتركتة بعد ان خلغت حذاءه .

لايذكر شيئا الا انه استيقظ فى اليوم التالى متاخرا يعانى من صداع فظيع وراس تدور فيها طاحونة . واثر احمر شفاه على وجهه ... !

كانت السيارة تسير ببطىء بحمولتها الثقيلة فى ذلك الطريق الذى يتلوى عند مروره بجبال البحر الاحمر فى تلك المنطقة ذات مساء وهو عائد من "قنا " . فى راديو السيارة سمعها .. دوت كلماتها فى رأسه طيلة ذلك اليوم ...

" وآآه يابا... يابا عليا .. لادار ولامرسى ولاصبيه " ...

قناديل بياع قناديل بنورك يا ليل
وآدينى ماشى ومش لاقى السبيل
بسافر بسافر.. بهاجر بهاجر
والبخت يا عينى قليل
وآه يابا يابا عليا.. لا دار ولا مرسى ولا صبية
***
وآدى آخر الرحلة ما لقينا غير دمع عنينا
كدبوا علينا حبايبنا آه يا عينى علينا
كدبوا علينا والعمر مبقاش فى إيدينا
كدبوا علينا وايه باقي يفرح ليالينا وآه يابا يابا عليا.. لا دار ولا مرسى ولا صبية
***

كان هذا هو احساسة بالضبط .. لادار ولامرسى ولاصبيه ..
عند مركز الغطس .. صبت له انيتا كأسا ..صبه فى جوفه دفعة واحدة وصب لنفسه كأسا اخر ..
كان يحس بالضياع فلا وطن ولادار ولاصبيه ...
قتلته اغنية محمد رشدى فى ذلك اليوم وقتله الليل الحزين الصامت فى هذه القرية الساكنة سكون المقابر حين تخلو من رواد . شرب فى هذا اليوم اكبر من قدرته على الشراب وحضره انين والم اكبر من قدرته على الاحتمال .

راح يتقلب فى سريره طول الليل .. رغم انه كان عائدا من سفر وكان جسده يئن تعبا لايدرى هل غفا فى ذلك اليوم ام انه استقبل شروق الشمس التى لم تسطع الستائر الثقيلة ان تحجب ضوئها . قام من سريره واتجه الى كافيتريا الشاطىء . لم يكن احد قد استيقظ بعد . صنع لنفسه قهوة فى كوب كبير وجلس يشربها وهو مطاطىء الرأس يضعها بين كلتا يديه ويضغط عليها باصابعة العشرة . ظل طوال نهار ذلك اليوم مستيقظا حتى خفف العصر وهج وحر النهار .. لم يكن قد تناول شيئا منذ البارحة ... فقط القهوه والنسكافيه .. وكأن معدته لم تعد فى جوفه وكانما اصبحت القهوة والنسكافيه وقوده وزاده .

ماكادت تنتهى " سعيدة " من عملها حتى قصدت احد تلك الاماكن التى اعتاد ان يجلس فيها كان لايزال كوبه الكبير الملىء بالنسكافيه فى يده تكاد رائحتها تدل على مكانه . جلست بجواره تشرب ماتبقى فى يدها من كوب الشاى ..

كان يمكنه حينها ان يستمع الى حكايتها ..

مخطوبة منذ ست سنوات تركها خطيبها وعاد اليها مرتين . مرتين كان يعود لانه يحبها . كانت كل الظروف تعانده وتمنعه . اهله واهلها . الشقة. الوظيفة . لكن جمع بينهما شىء اقوى من هذا كله انه الحب ،الاحتياج . شعور صمد كل هذه السنوات .حين عادا فى المرة الثالثة حدث بينهما مايحدث بين الازواج . كتبا ورقة عرفية . كان قد دفع من مبلغ شقة اشتراها النصف وراح يقسط بقية ثمنها .. باعها الرجل المقاول لاخر وفص ملح وذاب .. لم يكمل الرجل حتى

بناء الشقة حوائط واعمدة . وضع الاخر عليها بابا ونقل بضع قطع اثاث وسكن فيها . هو وزوجته واولاده . وضع يده على الشقه .. ووضع ايضا عصا وسيفا خلف الباب !!

. فرض واقعا اسمه " وضع البد " "وعلى المتضرر اللجوء للقضاء" !!

رفضت امه ان يقيم معها اذا تزوج فالبيت بالكاد يكفيها وابنتها المطلقة باولادها ..! كاد يجن . رحل الى توشكى ...بعيد بعيد فى الجنوب حيث الحر وقيظ الصحراء ولهيب الرمال الصفراء الذى ينسى المرء كل شى . كان لابد ان يبتعد فقد كان بحثه المحموم عن ذلك الرجل سيقوده للجنون اوسيدفعه حتما لارتكاب جريمة قتل لوعثر عليه . ست سنوات شديدة . كانها سنوات سجين فى محبسه مرت بهما . رفعهما الحلم عاليا ثم هوى على صخرة صماء .. وجع بحجم الجبال . جبال البحر الاحمر العالية التى تحجب الافق الغربى ...

اخرجت من حافظتها صورته . رآه كأنما يرى نفسه . سافر بخياله الى توشكى . تخيل انه سمع أنات ذلك الذى أرته صورته وعلى وجهه ابتسامة باهتة وخلفه فى الصورة شريط اخضر وخط اصفر كبير يملا الافق .

سكت طويلا .. لم يجد الكلمات .. ماتت على شفتية كل الكلمات . فقد كان السكون هو خير الكلام

.. قالها فى نفسه وهو يكاد لايقوى على رؤية الصورة التى غامت ملامحها امام عينية .

اين قرأ تلك العبارة التى قفزت الى عقله الان .." من كان منكم بلاخطيئة فليرمها بحجر " ....

.. حين ذهب فى المره الاخيرة ليتسوق حاجيات القرية السياحية من لحوم واغذية ويتفق مع بعض التجار على توريدات لمستلزمات القرية بصفتة مديرا للمشتريات كان معه ذلك المبلغ الكبير .. لم يكن يعرف ان ثمة صفقة فى الخفاء تدور بين السائق واولئك التجار الذين حرص السائق على ان يتوجة اليهم دون غيرهم واصراره بكل وسيلة على هؤلاء دون غيرهم . لمح ظرفا مكتنزا يدسة احد هؤلاء فى جيب هذا السائق . ثم شيئا ما فى لفافة صغيرة سأل عنها فيما بعد فقيل له دى اصول الضيافة . فعرف انها "حشيش" . فثارت ثائرته ! .

ان هذه القطعة الكبيرة من الحشيش فى اى لجنة تفتيش مرور كفيلة بان تضيع مابقى له من عمره فى السجن ! ....

لم يهدا الا حين توقف السائق فى بعض الطريق واخفاها فى مكان لاتعرفة الشياطين فى السيارة . راح ينظر اليه بغيظ ..

كيف لم يكن يعرف ..

لم يكن من الصعب عليه فى المرة التالية ان يجلب سائقا اخر !

كان هو فى المرة القادمة من وضع تاجر اللحوم فى جيبه الظرف فلم يرفضه ..! كان مبلغ ثلاثة الاف جنية لايعنى شيئا امام تلك الالاف الكثيرة التى يربحها التاجر لكنها كانت تعنى كثيرا

بالنسبة له ! راح يقنع نفسه انه مال حلال .. ! ابتسم فى سخرية وهو ينظر الى صورته فى مرآة السيارة التى تنهب الطريق وتذكر " من كان منكم بلاخطيئة فليرمها بحجر " ..

فى ذلك اليوم هب من نومه .. حين ارتطم بالارض فى ذلك الكابوس الذى رآه .. كان هو صاحب اللقطة فى ذلك الفيلم .. لايتذكر اسمه ! قفز من الطائرة يحمل مظلة الهبوط فوق ظهرة تحيطه باحكام .. اسرع الى الارض يهوى يصفعه الهواء الشديد يمرق بين ذراعيه وقدمية . تقترب الارض سريعا . لا تعمل مظلته . شد حزاما وضغط اخر .. اقترب اكثر من الارض اراد ان يصلحها انزلفت منه وافلتت فراح يهبط نحو الارض سريعا بلا مظلة ..

انه يسقط سريعا ...تبدو الارض من تحته مياه وطين . وحل ومستنقعات وبرك مياه .. والاف شواهد قبور ..

الثرثارة الحشرية الفظة التى يكاد يقسم حين رآها لاول مره انه لن ينظر اليها وان كانت اخر من بقى من النساء على وجه الارض ... تلك المراة من اعماق الريف التى جاءت ذات يوم مع زوجها تسأل عن عمل اى عمل تقوم به . كانت فلاحة يبين من لهجتها ومن لهجة زوجها. قالوا انهم من بلدة فى محافظة البحيرة وقد انقطع عيشهم فيها ..... لايدرى ماذا كان عملهم بالضبط لكن الرجل قال انه كان كهربائى .

كان اسمها "مباركة" .. " مباركة سليم محفوظ رداوى " . كان اسمها فى بطاقتها التى كادت تذوب ورقتها فى ذلك الكيس البلاسنيكى الصغير .. . كانت امراة قوية فيها عافية نساء الريف وكان الفندق والشاليهات فى حاجة الى عمال نظافة وخدمات الغرف حينها فهو موسم عمل . فتسلمت عملا فى اليوم التالى على الفور . كانت امرأة تمتلك جرأة عجيبة . لايمكنها ان تمكث فى مكان واحد ساعة واحدة . تحادث طوب الارض وتسأل عن كل شاردة وواردة . تكلمت مع كل من يعمل بالقرية فى يومها الاول . تحادثك على الفور كانك تعرفها من زمن . تسألك فى بساطة عما يلزم الاخرين عشرة سنوات ليسالونك مثل هذا السؤال ..! فى اليوم الاول يذكر انها سالت كل مايخطر بالبال على عملها والمكان وكل شىء . تقتحم الاماكن كما تقتحم الناس بالسؤال . لها ابنة صغيرة كانت تصطحبها تتركها فى مكان قريب وتقوم بعملها .. بدت مزعجة مستثيرة للبعض ، جميلة مسلية واعدة لغيرهم ! .. لكنها كانت حلوة التقاطيع بيضاء ضاحكة السن . فى عينيها شىء ساحر ..

فى ذلك اليوم البعيد اصيب كتفة وهو يساعد فى رفع بعض حمولة المشتريات التى اتت فى صبح مبكر .. صرخ ألما فكانت اول من اسرع اليه . فى ذلك اليوم وامام هذا العدد من الرجال خلعت له قميصه وارقدته ثم ردت له كتفه فى مكانها وهو يصرخ الما ...

ثم كانت هى من تولت فى الايام التالية عمل المساج له بعد ان نصح الطبيب بذلك .لم تدع له اى فرصة ليقول لا ... كان يمكنه بوضوح ان يرى اثناء رقاده على جانبة الايسر تلك الضحكة

الحبيسة على وجه زميله وصديقة " مكرم " مدير شئون العاملين الذى راح يؤكد ضرورة ان تقوم هى بهذه المهمه !!!

. كانت تنتهى من عملها ثم تبحث عنه وتكاد تدفعة الى غرفته لتنزع عنه قميصة وتزيل تلك الربطة حول عنقة التى تحمل ذراعه برفق ثم تضع ذلك المرهم على كتفه وتحركه وهى تحكى له شيئا اى شىء ... كان كأنما قررت ان ترعاه ... وكانما لاحيلة له لايملك الا ان يجلس على كرسيه مطاطىء الراس يجزعلى اسنانه كلما اوجعه شىء ..

كانت تكبره فى السن بعشر سنوات وكانت رغبته فى التعافى واصراره اكبر من شدة الاصابة . لم يعد سرا انها هى من تدهن كتفه .اشعره ذلك بالحرج كان ينظر الى نظراتهم ويكاد يرى تلك الضحكات الخبيثة المكتومة ونظرات الشك والريبه فى عيون الاخريات .. شعر ان قيدا يلتف حوله اوله هذا الذى يتدلى من عنقه ليحمل ذراعه .. فلم يمر الاسبوع الثالث حتى كان قد خلع الربطة التى تقيدة وراح بنفسه يمارس تدريبات اعادت له نشاطه وقوته . واصبح ذلك الجميل طوقا فى رقبته .

فى تلك السقرية الى قنا احضر لها تلك الهدية ردا للجميل وشكرا . كادت تبكى حين اعطاها لها . كانت فوق تصورها واكبر من ان تصدقها . كانت سلسلة ذهبية بدلاية مستديرة فيها عين زرقاء وضعتها فى رقبتها حينها ولم تنزعها بعدها ابدا .. .

... فى ذلك اليوم .. رآها تبتسم له وقد وضعت على وجهها احمر شفاه وبدت فى زى عاملات الفندق شيئا جميلا رائعا . كان غريبا ان يراها لاول مرة ترتدى جيبة بنية اللون يرى بياض قدميها المكتنزتين فيها والقميص الابيض بشعار القرية وبالياقة البنية الذى ضاق على صدر كبير ممتلىء . كان قد لاحظ هذا التغير والتحول فيها على مدى الايام . .تلك الطرحة القصيرة .. خصلة الشعر المنفلته منها عمدا .المانيكير .. !!

حدث خلاف بينها وبين زوجها . ارادت ان يتدخل . حكت له كل شىء . كان له القدرة على حل كثير من الخلافات التى تحدث فى العمل بين هذا وذاك لكنه هل يعرف كيف يحل خلافا بين رجل وامراته ! .كان يعرف ان الرجل اعجزته الظروف . عمل قليل ذلك الذى كان يأتية فكانت هى من ينفق على البيت من ايجار ومعيشة وخلافه . اختلفا حين اراد ان يسافرا الى الاسكندرية لينزل على احد معارفه فيها قال انه سيجد له عملا فى احد المشاريع السكنية هناك . اصرت هى الا تغادر . هى من تدفع ايجار الشقة فى المساكن الجديدة التى بنتها المحافظة ويؤجرها اصحابها . لن ترحل مرة اخرى الى مجهول بعد ان وجدت عملا يضمن لها ولابنتها معيشة جيده . لقد كانت تخطط ان تدخل ابنتها فى العام القادم فى مدرسة المدينة التى راحت تتسع وتتوافر فيها الخدمات وتزهو مبانيها وشوارعها نظافة وزينة . اصبح عمر ابنتها ست سنين لابد ان تدخل المدرسة ..

فى الاسبوع التالى عرفت انه رحل .. تركها فى الغردقة وحيدة مع ابنتها ..! اخذ ذلك المبلغ الذى كانت قد اعدته لتدفعة ايجار الشقة.. !!

كان كل من فى القرية تقريبا يعرفون علاقته بانيتا الالمانية . لقد اصبحت شيئا هاما فى حياته .. كان يرتاح فى حواره معها .. يجد نفسه .. يشعر انها تشغل هذا الحيز من كيانه الذى يحتاج الى الحوار .. الى العقل . اتفقا على الزواج تزوجها عند محامى ..اصبح فى يوم وليلة زوج .. شىء على الطراز الاوربى ... نظام عجيب . لكنه ارضى غروره حين استطاع هو وحده ان يظفر بها.. يحس انه انتصر يشعر بالزهو وهو يسير معها ..

لكنه فى قرارة نفسه كان يشعر اته يناقض نفسه . لقد تزوجها وهو يعلم انه لم يكن اول رجل فى حياتها .. ولا اول من منحته نفسها . لم تكن تفرق كثيرا عن تلك التى تركها وترك المدينة كلها فرارا من عذاباته فيها ...

لكنه برر ووجد عذرا لنفسه التى سحقتها ايام البعد ..

تزوجها واختطف اسبوعا واحدا ليقضيه فى الاسكندرية .. اسبوع واحد منح فيه روحه المنهكة اجازة او هكذا ظن ... لم يشأ ان ينزل على بيت اهلة فى الاسكندرية لايضمن ماتفعل امه بها وبه !

كانت امرأة ذات اصول تركية شديدة على كبر سنها عنيدة قوية كالصخر. اذا غضبت ينساب على فمها شلال من سباب وتقريع لايختمله بشر فاذا زاد غضبها تناولت فى يدها اى شىء وكل شىء لتلقية فى وجه من يقف امامها . حين ابلغها فى التليفون انه تزوج وانه قادم الى البيت بزوجته اسمعته كلمات قاسيه لكنه استطاع ان يجد الكلمات التى تسكتها . لقد كات مع ذلك يملك مفاتيح قلب امه العنيد .. فى اليوم الثالى لوصوله الى الاسكندرية وكان قد نزل باحد الفنادق ! ذهب مع انيتا ليزور امه .. وطلب من احد المطاعم الشهيرة ان يجهز له وجبة غذاء .. اراد ان يتغذى مع امه .. اوصى بشىء خاص يعرف ان امه تحبه ..

لكن مشاعر امه كانت شيئا مختلفا لم تكن تدرى هل تفرخ لابنها الذى وجد اخيرا من قيدتة بحبل الزواج . لاتدرى هل تحزن ام تفرح لفلذه كبدها ووحيدها الذى لم تفرح برؤيته فى عرسه تجلس عروسه الى جواره . تدق الدفوف وتصدح الموسيقى .

"دقوا المزاهر يالا ياهل البيت تعالوا .."

"جمع ووفق والله وصدقوا اللى قالوا ."

ستزفه موسيقى القرب .. ستلقى عليه الورود ...ستحتضنه.. وستهمس فى اذن زوجتة ..

تحلم فى ذلك اليوم ان تجتمع عائلتها التى تفرقت فى انحاء البلاد سترى عائلتها تحيط بها . تقف على الجانبين يبتسمون ويحيون العروسين ونظرة فخر واعتزاز تملؤها ..

لم يحدث اى من هذا .

غلبت العاطفة امه حين رأته فاحتضنته واحتضت من جائت معه !

لكنها راحت تتلمس الفرحة فى عينى ابنها . فتجد شيئا يسكتها ويبدد الاسئلة الكثيرة التى تتداخل فى راسها .

ودار حديث عجيب تداخلت فيه اللغات عربية وفرنسية وشى من التركيه ! استاثرت الام بولدها .. ظلت انيتا صامته معظم الوقت الا من شبح ابتسامة بين الحين والاخر حين يترجم لها بعض كلمات امه او يشرح لها شيئا باختصار . تعلقت عيناها بذلك البرواز الضخم لصورة اسرة يجلس رجل ممتلىء الوجه ذوب شارب مفتول على كرسى صالون اوبسيون ضخم وبجوراه تقف زوجته فى ثوب حريرى انيق وبجوارها فتاتين فى عمر الزهور وولد صغير يتكىء على رجل ابيه .

ادركت بحدسها انه لابد هو .. اشار بملعقة الشاى التى كانت فى يده وقد حرك الشاى بها لتوه عرفها على اختيه فايزة وفوقية وعلى ابيه الحاج مصطفى الدرينى ثم " وهو يبتسم ابتسامة ساحرة وقد امسك بيد امه يقبلها " هانم اباظة " .

امسكت يدها المعروقة التى بانت عظامها ملعقة الشاى من يده ووضعتها على الصينية بحزم وقالت كلمة " افنطجى " تقصد اونطجى " فوضجى " .

كانت امه قد تزوجت من ابيه التاجر المعروف " مصطفى الدرينى ".رجل ينتمى الى احد اعرق العائلات الثرية فى الاسكندرية .كان رجلا قد فقد زوجته بعد ان تركت له ابنتين صغيرتين . وافقت رغم صغر سنها لانها كرهت حياة الصمت فى بيت ابيها الكبير فى دمياط . تهيب الشباب ان يتقدموا الى ابنه حافظ بك الالفى حفيد عائلة الاباظية التركية التى انتشرت فروعها فى بقاع مصر . تولت امه تربية ابنتى الرجل الصغيريتين فصارت امهم ولم يشعرا ابدا بفقد اليتم بعد ذلك حتى بعد ان انجبته .. كانت تدير شئون بيت كبير كالقصر .وكان زوجها يدير شئون سهراته وعلاقاته .تزوجت الفتاتين وسافرتا مع ازواجهما للخارج وبقيت المرأة وحيدة فى ذلك البيت الكبير .حتى تركته ذات يوم الى شقة الابراهيمية فما عادتة تطيق ان تعيش بعد اليوم فى دار تركها اصحابها وبقيت فيه وحيدة حين رحلت البنتان ومات الزوج ورحل الولد.
كان قد انهى لتوه دراسته فى الجامعه وكانت بعض لوحاته تزين حجرته . كان ابن عز لكنه قرر ان يعمل لالشىء الا لانه اراد ان يعمل .ان يجد لنفسه جناحين يطير بهما فى الدنيا ان يجد حريته من رقابة امه الصارمة وعين الصفر التى لم تكن ترفعها عنه فعمل فى الفنادق والمطاعم افادته وسامته وثقافته واجادته الفرنسية التى كانت ينطقها عذبة كأهلها ...
.....

طاف بالاسكندرية فلم يترك مكانا الا زاره . زار كل تلك الاماكن التى حملت ذكرياته . الا مكانا واحدا لم يجرؤ على الاقتراب منه وذكرى لايحب ان يعاوده انينها

حين راح ليزور امه قبل رحيله اصرت على ان يبيت الليلة عندها .لم يستطع ان يرفض بل لعله احس بسعادة داخلية تغمره . غرفته لم يمسها احد منذ ان رحل الى البحر الاحمر . كان يعود اليها كلما عاوده الحنين الى البيت ومازالت بعض لوحاته التى رسمها بنفسه تزين حجرته . ففد رحلت اخته الى بيتها فى ميامى وليس ثمة احد معها فى تلك الليلة الا ابنه خاله التى تاتيها من وقت لآخر ..اصرت فلم يك بد من ان ينهى ايام اقامته فى الفندق وبعمل ال **check out**

راى ابنة خالة . لم يكن قد راها منذ سنوات . لقد كبرت وتغيرت ملامحها ..

وتغيرت ايضا فلم تعد تناديه باسمه بل تناديه ب" سى غاصم " **!!**

تعحب من هذا التغيير . بدت اكثر خضوعا وسكونا ..

مر الاسبوع سريعا .. فى بيت امه عرف ان انيتا تبتلع اقراص منع الحمل وتضع كريما ايضا لذلك .. عرف ذلك ولم يغضب .راح يقلب الامر فى ذهنه الا انه فى النهاية لم يبال . سكت ولم يعلق بشى ..

وهما فى الاسكندرية تكشفت له اشياء كثيرة . اشياء لاتجمعهما ببعض لم يكن جو القرية السياحية وظروفه فيها تكشفان ذلك .. ثمة شىء مفقود . شىء لايجمعهما الا كزوج وزوجة فى فراش .. تبددت تلك اشياء كثيرة اصبحت مملة هى نفسها تلك التى كانت تجمعهما فى القرية وفى العمل . كانت الايدى تتلاقى وتتشابك وهما فى جولات التنزه فى بحرى وفى المنتزه وعلى الشواطىء لكن القلوب كانت تسرح بعيدا ...

حين عادا الى القرية كانت عيون تحوطهما محبة وامنيات طيبة وعيون تتقد غيرة وحسدا . وراحت الايام كعادتها تمضى مليئة بجهد محملة بغد لايعرفه احد ولاحيلة لأحد عليه .

لم يتقبل ان يرى احد النزلاء يقبلها فى مركز الغطس فثارت نخوة الشرقى فيه ..

وعاندت واصر وابتعدا .. وتناقشا فاختلفا فسبها وسبته وكاد يضربها فوقفت كالمحارب وفى يدها عصا **!!**

لم تفلح محاولات الصلح ..

فى صبيحة يوم غائم تتحرك فيه رياح باردة وقد خلت القرية الا من عدد قليل من النزلاء ... استيقظ وقد راحت عينية ترقبان كبائن الغطس حيث تعمل انيتا فل يجد احدا . كان المكان خاليا . سأل الفتى الذى يعمل فى الكافيتريا والذى كان يعد له كوب النسكافية الذى اعتاد عليه فاخبره ان بعضهم سافر الى بالقاهرة والبعض الاخر سافر الى الخارج **!**

كانت انيتا احد هؤلاء الذين سافروا ... لقد سافرت الى المانيا . **!**

جلس صامتا يحتسى الكوب الكبير من النسكافيه .. وهو يراوده هذا الشعور الذى احس به فى منامه ذات مرة . يسقط من الطائرة يحمل مظلة الهبوط فوق ظهرة تحيطه باحكام .. يسرع الى الارض يهوى يصفعه الهواء الشديد . . تقترب الارض سريعا . لا تعمل مظلته ... يهبط نحو الارض سريعا بلا مظلة ..

عاد وحيدا .. يعمل من جديد ليلا ونهارا عاد يعمل اشد مما يحتمل بشر واكبر من طاقة انسان لينسى . .. ولم ينس ..! .

لم تكسره تلك الالمانية لكنها ايقظت جراحا قديمة . حركت الماء الساكن فى ذاكرته .. وراح هذه المرة فى ابتسامات ساخرة يدندن كثيرا

آه يابا... يابا عليا .. لادار ولامرسى ولاصبيه " ...

وآدى آخر الرحلة ما لقينا غير دمع عنينا
كدبوا علينا حبايبنا آه يا عينى علينا
كدبوا علينا والعمر مبقاش فى إيدينا
كدبوا علينا وايه باقي يفرح لياليا
***

ضاقت به الاماكن لم يعد يحتمل حياته بهذا الشكل صار يبحث عن هروب جديد عن ارض غير الارض وسموات غير السموات ..

حصل على دعوة لزيارة مدتها ثلاثة اسابيع من احدى نزيلات القرية .فرنسية جمعت فى تكوينها عدد من الشعوب الاوربية ام مجرية واب فرنسى واجداد لايتذكر كم بلد قالت انهم ينتمون اليها . كان حلم حياته ان يرى باريس .كان يقول ان باريس هى سكندريته التى فارقها . وكان قد حزم امره انه لن يعود ثانية من هذه الدعوة . باريس بلد الجن والملائكة . كان قد سافر اليها من قبل وهو طالب فى اجازة الصيف . سيمكث فى فرنسا سيبحث عن نفسه هناك سيبدا بداية جديدة فى مكان جديد ، وهناك عاش حياة بوهيمية عجيبة طافت به الايام فى جنة اوروبا وجحيمها عاش فى الحى اللاتينى بباريس صاحب هؤلاء الفنانيين الرسامين اعجبته اعمالهم وحياتهم وتحررهم . جرب ان يرسم مثلهم فابدع شيئا شرقيا مميزا جذبت لوحاته جمهورا ذواقا تلقفت الايدى اعماله التى بدت شيئا ابداعيا جديدا تحدثت به اوساط الفن . ساوى وضعه وحصل على اقامة قانونية دبرها له احد هؤلاء الذين يعرفون بواطن الامور وخفاياها ثم انخرط فى دراسة حصل بها على ماجستير فى ذلك النوع من الفنون منحتة تواصلا مع اقطاب الفن والمجتمع الباريسى وتدفق المال فى يده من اعماله واصبح اسما معروفا .كانت الفرنسية تجرى على لسانه بطلاقه ابناء باريس وحرارة ودفء ابناء النيل استطاع بكلماته الآسرة ان يجمع حوله هذا الحضور الذى لاينقطع ولم ينقطع عنه يوما ذلك الجمع من مهاويس الفن الحر وعشاق الفن والرسم والتصوير اضافة الى ذلك السيل من النساء الذى كان يدفىء سريره .كان يعب من كل شىء يحيا ليال بلانوم واياما بلا نهار .يأكل حتى التخمة ويشرب حتى الثماله . ينقطع فى عمل فيكاد يهلك صوما ثم يهيم فى قصة حب حتى يغيب عن

الدنيا . فتنته باريس وفتَنَها . احد عشر عاما قضاها فى عاصمة النور باريس . القى فيها مرساته فى فرنسا ولم يرفعها لرحيل الا مرتين زار فيهما مدينته وعشقه الاول ضمن جولة نظمتها الجامعة هناك لطلابها فمر سريعا بالاسكندرية . لم يقتله الحنين ولا عذبه البعد . فقد وجد للبعد ترياقا وللحنين دواء . عاش فيها قصة صعود كقفزة لاعبى السيرك على الحبال العالية كوثبة لاعبى الزانه فى المضمار. كان يعاند وحدته ويتحداها . روحة الحائرة ساقته ليفعل الشىء وعكسة . الامر ونقيضة ! سنوات مرت تفلتت الايام من بين يدية ومرت حتى دهمته تلك اللحظة التى احس فيها انه حقا وحيد . حين مرض . فتكت به حمى الزمته البيت الصغير الذى يعيش فين .

ماكاد يقف على قدميه حتى كان على اول باخره تعبر المتوسط الى مسقط رأسه الاسكندرية . لعنت امه سنسفيله حين رأته ولعنت سنسفيل ابيه الذى مات فى بيت احدى عشيقاته قالت انه كأبيه نجس وديل الكلب مابنعدل . بصقت عليه اقسمت ان لم يتزوج فلاهى امه ولاتعرفه . ووجد نفسه فى بضع اسابيع متزوجا من بنت خاله . اخ امه من ابيها " غير شقيق" ابنه خاله حي راها لاول مرة ضحك وسماها الهبلة . كان طوال عمره يراها بلهاء .. . كانت صفقة رابحة للام التى ضمنت دوام وجود ابنه اخيها التى اعتادت ان تأتيها من وقت لاخر فتساعدها وتبيت بضعة ايام تؤنسها فى تلك الشقة القديمة الفسيحة فى الابراهيمية .. ضعضعته سنوات باريس لكنه الان كأنما قام من فراش مرض يتعافى من كل شىء مر به لقد استطاع بطريقة او بأخرى ان يجد شيئا مشتركا بينه وبين زوجته التى لم تكن تعنى له شيئا الا حاجته فى الفراش .كانت فتاة من الريف لم تغير الاسكندرية منها كثيرا منذ ان جاءت صغيرة مع ابيها وامها واخوتها للاسكندرية ليعمل ابيها فى احد مصانع الغزل فى السيوف كان رجلا بسيطا .كان ينصت لها وهى تحكى له . كان يتعجب من قدرتها على ان تحكى له فيستمع اليها ..

لم تكن تتخيل انه سيلبى دعوتها بهذه السرعة فما كاد يمر اسبوع حتى اتصل بها ليتناول معها فنجان القهوة للتى دعته اليه ذلك اليوم . حين خطت قدماه اول خطوات بداخل هذا الاتيلية الكبير كانت اول من لمحه ووقفت خلف مكتبها فى الركن البعيد واخدت بضع خطوات تجاهه .فهمت الفتاة للتى تقدمت نحوه لتسأله عن حاجته حين رأته ينظر أمامه ويتجه مباشرة الى مدام "سالى" فمر بجوارها لتلتقط انفاس الفتاة عطرا باريسيا فاخرا .

كادت تلتفت الى المرآة على الحائط المجاور لتطمئن الى مكياجها امسكت باحدى يديها الاخرى ثم مدتها .كادت تحتضنه بعينيها حين ناولها بوكية ورد التيوليب الصغير بيديه . خمس دقائق فقط مرت كان بعدها يجلس كالطفل الوديع بجوارها فى سيارتها بعد ان غادرا الاتيليه وبعد ان سلمت احدى الفتيات دفترا ومبلغا من المال ثم وضعت الباقى فى حقيبتها ثم كانما تسمع الجميع " انا مش حاتاخر يابنات ساعة زمن بس مع الاستاذ وراجعه. "
فى تلك الكافيتريا الكلاسيكية الفاخرة قليلة الرواد فى محطة الرمل خلف تمثال سعد زغلول

طلب قهوة ...وطلبت هى. نسكافيه .
وراحت تكمل قصتها ....

كان ذلك اليونانى المصرى الذى تزوجته فلاتيا عابثا لكنها استطاعت ان تروضه وتحاصره اوجدت لنفسها مكانا فى عمله راقبت كل شىء وامسكت بكل شىء. لم يعد يدور على البضع اماكن التى اعتاد ها كانت تبقيه فى البيت بكل حيل الانثى وفتنتها تعرف كيف تكون فتاة ليلته التى يرضى غروره ان يوقع بها وتعرف كيف تصبح راقصتة الفاتنة التى يفوز بها فى اخر الليل . وعرفت كيف تفرغ جيوبه ..

بكت امها حين عرفت انها تزوجت بكت فرحة فاتتها ولم تحظ بها . فرحة ان ترى ابنتها الوحيدة على ولدين احدهما فاشل والاخر جاحد اخوها رمضان الشهير بالضانى الذى لم يكن احد يعرفه الا بلقبه " الضانى " لاتعرف له مهنة ولاعملا . الصايع الضايع الذى يقضى يومه وليله لايفعل شيئا الا التنطع هنا وهناك ولطالما قبض عليه وافرج عنه من قسم الشرطة تراه اياما يعد النقود عدا فتمتلىء بها جيوبة . وتراه يوما يستجدى منها بعضه او تتسلل يده الى حقيبتها فيقتنص شيئا .. الاخر كان سعيد صاحب ورشة نجارة جاف الطبع غليظ القلب يمر الشهر فلايكاد يرى امه ولا اخوته وايضا لاتكاد دعوات امه عليه وعلى زوجته سليطة اللسان تنقطع ليلا ونهارا .

.. بكت لكنها ضحكت وفرحت من قلبها حين قالت ابنتها لها انها سعيده وانها حققت ماتتمناه اى فتاة . كانت عينا امها الطيبتين تتطلعان اليها تحاول ان تنفذ الى دواخلها لتستبين صدق كلماتها .. اقسمت لامها انها صادقة . ارتها الاوراق .. رغم انها تعرف انها لاتقرأ لكنها صدقتها ... ثم ضحكت .

ولم لا .. ان ابنتها فى عصمة رجل وهى سعيدة وليست فى حاجة الى ان تشقى لتدبر امورها وتشترى احتاجاتها. انها كأى فتاة تريد ان تعيش وتستمتع بالحياة التى حرمت منها .

وحل محل دموع عينها ابتسامة التمعت لها سعادة ورضا !

مرت سنوات اجادت لعبة الانثى واتقنتها فملكت . واستطاعت ان تحيى في زوجها شبابا وحياة مليئة وراحة بال شغلته بها عن فراغ كان يلقى به بعيدا بعيدا ..كان الرجل فى حاجة الى امرأة تضبط بوصلة حياته تشاركه ليله الطويل الذى كان يشغله بالتسكع فى البارات والمطاعم .ينفق مابقى من ايامه الذاهبه مع امرأة اى امرأه ا

لم يكن ماكتبه لها زوجها من مال يضمن لها حياة مستقرة مرتاحة فحسب بل ان الزيجة نفسها امنت لها بيتا يؤويها وزوج ولو كان كظل حائط بعد ان اقعده المرض لكنه اراحها من مشقة الكدح لتوفير احتياجاتها وصراعاتها وطمع هذا وذاك فيها ورحمها من سقوط كانت قد سارت فى طريقه . فعلا كانت صفقة رابحة . يقولون هذا هو ال **"win win game"**

الذى يربح فيه كلا الطرفين . لكنها كانت تريد اكثر .. لقد فعلت الكثير ليكون لها منه ولد حتى كادت تقتله ذات يوم بتلك الاقراص التى وضعتها فى طعامه تشد بها صلبه وتنصب بها ظهره.. لم تكف عن المحاولة طوال شهور حتى انها سعت الى تلك الابتكارات الحديثة " التلقيح الصناعى " وبعد محاولتين افلح الامر ... فقد حملت وارتفع بطنها بحمل ثقيل .. .واستمرت تلازمه كأنها تعلن كل يوم للجميع ان هذا الرجل اصبح الان ملكها وان الذى منه فى بطنها هو وريثه ..

غريب هذا الشعور الذى انتاب هذا الرجل . لقد بدا كأن مقصه الذى يصنع به الفساتين قد قص لسانه فلم يعد يتكلم كثيرا .وحين وضعت غلاما كان اكثر صمتا ولم يعرف الناس اكان فرحا ام مهموما.!!
اسمته "مهاب " . "مهاب كاناكيس رودودو " او مهاب كرم ! مصرى يونانى لايهم . هى تستطيع ان تجعله كما نشاء ..

وفى السبوع دقت الهون واشعلت البخور وخطت برجليها ورجلين الولد فوق الجمر المشتعل سبع مرات, وعبأت الحمص والسودانى فى اكياس ملونة من السوليفان ووزعتها . ووضعت على صدره خرزة زرقاء و "ماشاء الله "مكتوبه فى كف من الفضة !

ونادتة منذ اليوم الاول "ميمو"
وبعد عام ادركت ان ثمة شىء غير طبيعى .كان الطفل معاقا .. لم يكن معاق بدنيا بل كان مصابا بمرض عقلى . متلازمة "دوان" مرض وراثى فى الاصل يمنع صاحبه من النمو الطبيعى ويسبب ضعفا فى التعلم .. لكنه كان ابن ابيه ووريثه !
تقتلنا" لكن" وتحييينا اخرى . كان هذا الطفل قدم خير وسعد فهو وقد حفظ لها حقها فى ميراث زوج اقتربت قدماه من قبره اكثر من اى وقت حين راح يعانى بضعة امراض ولم يعد يقوى كثيرا على ضغط العمل .حينها كانت هى من تدير وهى من تبيع وتشترى .كانت مجبرة على ان تتعلم كل شىء وتعرف كل شىء فقد وجدت نفسها تدير سفينة كبيرة تمخر عباب بحر كبير وصنعة لاتخلو من مخاطر . وكانت قادرة على ان تسير الامور بجرأة وبخطى واثقة بل تنفذ تلك التعديلات التى كانت قد اقترحتها عليه لتناسب التغيرات التى جدت فى الموضة والمجتمع عموما . كانت بضع قرارات وتعديلات ودعاية كفيلة بان تكفل نجاحا وتوسعا فى العمل . قالت لزوجها ذات يوم فى سريره وهو يوقع لها على بضع اوراق كان منها توكيل رسمى لها بالادارة : " التاجر الناصح يتاجر بفلوس غيره " . كان عقد مشاركة مع ورشة لانتاج نوع من شنط المدارس والشنط الحريمى كان زوجها قد رفض هذا العرض من قبل قال " مش صنعتى " " مالى انا بشنط مدارس ... !!" . كان لديها ذلك الحس الذى يملكه التاجر الشاطر الذى يعرف احتياجات الناس ويطلع على مايحبون ومايرغبون وكانت تعرف اين ومتى تعرض ماتصنع .. لاشك ان تجارة الملابس مربحة لكن تصنيعها وتوزيعها اكثر ربحا . فساتين الزفاف اسعارها بالالاف ..كل شىء يتصل بهذه الصناعة جربته ونجحت فيه لم يعد الاتيلية واحد ولا الورشة واحدة بل بضعة اتليهات ومعارض وورش فى عدة اماكن

بالاسكندرية .واصبحت سيدة مجتمع.
مدام "سالى" قصة نجاح مجلة الكواكب ." سالى اتيليه حوار فى تلفزيون العاصمة الساحلية ..
نجحت وحققت انجازا كبيرا . لكن شيئا ما كان دوما كان ينقصها يعكر عليها ابتسامة صافية او فرحة حقيقية . . كانت ناجحة لكنها لم تكن سعيدة . كانت لديها اكثير لكنها تريد اكثر كانت طموحة متطلعة وقلقة متحفزة دوما . تشتعل غضبا احيانا فلاتبقى امامها شىء.ثم تهدأ لتغرق فى ذكرياتها وحياتها الاولى

مات زوجها فجاء اخ له من اليونان كان قد رحل عن الاسكندرية بعد قيام ثورة الضباط فى ٢٣يوليو . ومنذ ان وصل اشتعلت المشاكل .روت وهى تضحك وقد انتهت لتوها من فنجان النسكافية كيف سلطت عليه نسوان من الكرنتينا فجرسوه فى احد الشوارع .ادعت احداهما انه تحرش بها فاجتمع الناس عليه فاشبعوه ضربا . وسلطت عليه ممن يعرفه اخيها الذى امكنه بالطبع ان يستأجر لها من يعترض طريقه ذات يوم فليقنه علقة موت ويفرغ جيوبة فلا ينفد منهم هاربا الا باعجوبة او كما ارادوا .علم حينها انه لاقبل له بامرأة تفعل هكذا فترك المدينة هاربا ورحل. ضحكت ضحكة انثوية صاخبة تلفت لها الجالس فى اخر كرسى يقرا جريدة اجنبيه .
سألته عن عمله وعن زوجته وعن اولاده وذهلت حينما اخبرها انه تزوج منذ ثلاث سنوات فقط وانه ليس لديه اولاد .

" كيفك انت "... قالتها بمرح كما تغنيها فيروز وابتسمت وهى تنظر داخل عينيه كانها تبحث عن شىء

حكى لها عن باريس.. حكى بصدق ودون خجل عما فعل .كانت هى فقط من بين كل من عرفهم يمكنه ان يبوح لها عما بداخله ، عن ذلك الذى يخفيه عن الاخرين ، هى فقط من اعتاد الا ينتقى الكلمات ويجملها . كانت بعد كل هذه السنين مازالت هى من يصارحها ولايهمه لانه يشعر فى قرارة نفسه انها تعرفه وتنفذ الى دواخله . كان يمكنه ان يكون صادقا مع نفسه مستريحا حين لاينكر عيوبه . حكى لها عن اغرب مالقيه فى باريس غير هذا السيل الذى انهمر عليه من نساء الشرق والغرب . لقد راى حبه الاول هناك كانت زوجه احد افراد البعثة الديبلوماسية هناك . زارته مع ابنها وابنتها . تغير شكلها كثيرا بدت كاحدى نساء باريس نحيلة القد . جريئة الملبس تخفى نصف وجهها بنظارة شمسيه ، لكن مازال صوتها وتلك النبرة الناعمة كما هى . وثمة سور عال وجدار يقف بينهما حين دار ذلك الحديث بينهما .. نعم مات الحب فالحب ايضا يحيا ويموت ... لم يبق منه الا تلك الذكرى البعيده التى طمس الالم معالمها فبدث باهتة .

... سادت لحظة صمت ثقيل ...تأخر الوقت انها الثانية عشرة الا الربع خفت حركة الناس والسيارات فى هذا الوقت من ليل شتاء دافىء فى يوم من ايام منتصف الاسبوع الثانى من فبراير .. كانت قد امطرت رذاذا بللت به الارض قليلا كأنما ترويها من عطش ..

التفت فى لحظة صمت ليرى الميدان على بعد خطوات من هذا المكان منذ سنوات بعيدة فقفزت الى ذهنه الذكرى ! فى ذلك اليوم التقيا بعد غيبة اخبرته انها ستتزوج من هذا الرجل. عادت به الذكرى .. سلام بطعم المرارة بعيون تحجر فيها الدمع وقهرتها المشاعر . اراد حينها ان يحاسب التاكسى رمقته بنظرة اصرار واغلقت الباب فانطلق بها ولم تنظر حلفها !

قرات عينيه وتسللت الى تلافيف ذاكرته وبددت الصمت بسؤالها

- فاكر .. !؟

- لم يكن سؤالا يحتاج صاحبه الى جواب .. ولا كان باستطاعته أن يجيب .فقط نظر الى ساعته ثم التفت الى الجرسون وأومأ برأسه اليه ثم وضع ورقة مالية اسفل فنجان قهوته وقام واقفا .

كان حاضرا فى زيارة وفد فرنسا مع المحافظ فوجد نفسه فى بؤرة الضوء فقد كان احد اعضاء الوفد يعرفه ويسرت له لغتة الفرنسية ان يكون قريبا من الوفد والمحافظ على السواء . لم يكن من السهل ان يرى اعجاب المحافظ به ولا ذلك الاثر الطيب الذى تركه ذلك اللقاء . فاذا به يصبح ضيفا دائما فى تلك المناسبات . وفتحت له مثل تلك المناسبات بابا واسعا لعلاقات اصبحت متينة بفضل شخصيتة وحضورة وثقافته ..

علم انه مرشح لمنصب ما فى المحافظة .. نصحه من ابلغه ان يتوخى الحذر وان يهتم بعمله وبحسن الظهور فى تلك الايام .. لم يكن ممن يحبون تلك المناصب فقد اعتاد ان يحيا حياة حرة لايقيدها منصب ولا التزام .. كان يمكنه فى مساء ذات يوم ان يكون على قهوة فى حوارى بحرى مرتديا بلوفر وجينز او ان يتمشى على شاطىء البحر حتى يجلس عند مكان ما يرافب الرايح والجاى يمتع انفه برائحة البحر رائحة اليود والملح . يشترى قرطاس ترمس وفول وحلبة. يماذح البائع العجوز ليخبره كيف كان يوفق بين زوجيه فى بلدتة فى اقصى الصعيد ...

وكانه قد قرر انه لن يقبل هذا المنصب كان قد جلس على قهوة شحتة فى اللبان عند صديقة القديم وجلس فى كافيتريا والى وقهوة فاروق ومتع ناظرية كما اعتاد بالبحر بطول شاطىء ستانلى وجليم . نزل بحذاءه الفرنسى على شاطىء البحر الرملى فى سيدى بشر امام جزيزة الكور جلس على الكراسى التى وضعها شخص ما طلب شايا ليشربه مع دائرة الكعك السميط التى اشتراها من ذلك الفتى الذى كان يطوف بها على الشاطىء .

حدثها فى ذلك اليوم فى التليفون عن ترشيحه ..كان يضحك ويتعجب من هؤلاء الذين لم يجدوا الا فاشلا مثله ليرشحوه . كان يعد على اصابع يده الاخرى خيباته وفشله وهو يحادثها من تليفون البيت بصوت خفيض فى منتصف الليل حينما كا نت زوجتة تغط فى نوم عميق ..

وكانت تتعجب من حقيقة انه من الممكن ان يرفض هذا والا يقبل مركزا مرموقا كهذا رئيس حى ! منصب له وجاهة وفيه ميزة .

حين عاد الى البيت فى منتصف الليل كانت زوجتة فى انتظاره جالسة نصف نائمة على الاريكة فى الصالة هبت واقفة بمجرد ان رأته . ردت على تحيتة الباهتة بفرحة غير معتادة . سالته اسخن لك العشاء . نظر اليها بلامبالاه لا .

- ليه ؟ دانا عامله لك اكلة بتحبها .
- اتعشيت بره .

لفت نظره ذلك الروب الجديد الذى كانت ترتدية وذلك العطر الحالم الذى اعاده الى باريس فى لحظة . اتجه الى حجرة نومه فتبعته . خلع الجاكيت فاسرعت لتلتقطة منه وتضعة فى مكانه جلس على طرف السرير ليخلع جواربة فاسرعت لتنزعها له كما اعتادت . وراحت تحكى وهى تطبق الجوارب فى يديها عن الاشياء البسيطة التى لاتعنى له شيئا لكنه كان يسمعها كما اعتاد . كان قد لاحظ هذا التغير الذى بدا على زوجتة . "ابنه خاله" تغيير لايمكن الا يلاحظة . فى مظهرها وفى تصرفاتها حتى انها لم تعد تنادية سى عاصم . عاصم فقط لكنها بطريقة اخرى كلها انوثة .

كاد يصطدم يوما بامرأة خارجة لتوها من بيتهم راح يتسائل من تكون هذة الشابة الفارعة فلم تخبره الا بعد لأى انها مدربة . مدربة ماذا لايدرى .. !

مشاعر مختلطة تلك التى انتابته .. ان وظيفته فى كلية الفنون الجميلة وعضويتة لاتحاد الفنانين والمعارض التى يشارك فيها والندوات التى يكون ضيفا عليها شىء يعرفه يتقنه يعشقه . شىء يحلق فيه بجناحيه حرا طليقا . يخشى على نفسه من ذلك العمل الروتينى المكتبى تخيل نفسه يوقع الاف الالتماسات والقرارات يصاحب حملات الازالة يصادر البضائع يتابع هدم العقارات .. ياللهول .. سيلزمة عدة ايدى ليعد على اصابعها نواحى فشلة فى هذا المنصب ..!

الغريب ان من اقنعه ليذهب ويقبل المنصب برغبة حقيقة ونظرة تحد ورؤية كانت زوجتة . زوجتة التى راحت تلبسة بيجامته الروب دى شامبر وراحت تربت على صدره بعد ان ربطت بيدها عقدة الحزام .كان يسمعها وهى تتكلم ويتعجب من قدرتها على ان تجعله يستمع اليها طويلا .هذه الجمل والعبارات التى كانت تستطيع فى سلاسة ان تصوغها وتنطقها بصوت هادىء ولكنة لاتنتمى الى اى لكنة سمعها !

فى ذلك اليوم نام فى سريره حتى الصباح لكن لم يغمض له جفن

كانت كل الافكار تتقلب مع تقلبه .

لكن اخر ماكان يتصوره عقله ان تكون زوجتة حامل ! نزل الخبر على راسه كالصاعقة لايدرى ايفرح ام يحزن .ايفرح لان سيواصل نسل هذه العائلة .سيمنح اسم عائلى الدرينى فرصة اخرى وانفاس حياة جديدة تحمل هذا الاسم . سيكون ابا . لقب لم يكن يتخيل فى يوم من الايام انه سيحمله .لم تنقطع زوجتة يوما عن انتظاره وخدمته الا هذه الايام الاولى التى عرفت فيها كانت امه تحمل عكازها وتنتظره كل ليلة فى الصالة الكبيره . لقد افتقدها. افتقد فى هذه الايام القليلة حضورها الذى يترواح بين الصمت والابتسام . مرت سبعة اشهر وبدا ان ثمة مشكلة فى الحمل مما استدعى نقلها الى المستشفى كانت تحت عناية فائقة كيف لا وهى زوجة رئيس الحى .يالتلك الوحشة التى احسها حين عاد الى البيت ولم يجدها فى انتظاره !

. ماكاد يغلق عليه باب غرفة نومة حتى احس بالاختناق ورغم بدنه المنهك من يوم عمل شاق فقد قام مرة اخرى فارتدى ثيابه وخرج طاف بالشوارع المضاة حتى الصباح ثم لم يلبث ان وجد نفسه امام المستشفى فوضع سيارتة جانبا ودخل . فتحت عينيها ببط وعى طرف شغتيها المجهدتين لاحت ابتسامة امسكت يده بيدها التى تعلقت بها حقنة المحلول المعلق اعلاها . وراحت بعينيها تقول له شيئا كان يرد بايماءة من راسه . فى تلك اللحظة احس انه طفل كبير على وشك ان يفقد امه. لايدرى هذا الشعور اهو اشفاق ام محبة اهو العشرة ام وفى لحظة مرشريط حياته امام عينية ومر كل شىء جمعه بابنة خاله هذه لم يعد يطيق البيت وهى ليست فيه جلس ذات يوم كانه ينتظر ان تاتية ما اعتادت تنزع عنه جواربه وتحل له ازرار قميصه يذهب الى الحمام فيجدها تنتظره بالفوطة ثم تلبسه مااختارت من لبس البيت فتاره تلبسه البيجامة وتارة التى شيرت كانه ابنها المدلل. لايذكر ان امه كانت تفعل ذلك حين كان صغيرا !

يحتاج الرجل احيانا الى ان يكون طفلا يسترجع ذلك الشعور بالاهتمام حتى وان كان يستطيع ان يفعل ذلك بنفسه . لاينكر انه كان يستمتع بتلك اللحظة التى يمد يدية لتفك له زر القميص وتنزع عنه الكرافتة التى تطوق رقبته . ثم تفاجئة بشىء يحبه كانت بارعة فى معرفة مايحب وبارعة فى ان تجعله يستمع اليها ثم يتكلم ويحكى عن يومه الطويل كانت عيناها تلمع بريقا واعجابا وهو يحكى اغرب مامر به فى ذلك اليوم . اصبح مايروية هو عينها ونافذتها على المدينة والحى واهله . وحين عاد الى البيت فى ذلك اليوم ايضا فلم يجدها لم يكمل خلع ملابسة ونام كما هو حتى ايقظته امه فى صبيح اليوم التالى بشتيمة وكادت تضربه بالعكاز فى يدها لانه نام فى السرير بالحذاء !

وكان هو ايضا هذا الرجل الحائر بين امراتين يشده حبل الى ماضيه الى امراة كان يجد الراحة عندها ونفسه المعذبة التى لاترتاح الا بين عينيها ؟ اصبح وجودها فى حياتة شيئا اساسيا لايكاد يمر يوم دون ان يحادثها على الهاتف كان يحادتها غى العاتف وهو فى البيت وهو فى العمل هز يبدأ بها يومه وينهيه بصوتها

ثم بيته الذى يأوى اليه فى نهاية يومه فلايجد السكينة والهدوء من ضجيج دنياه الا فى ذلك البيت حيث اهله واخر من ينتمى اليه فى هذه الدنيا التى عرف فيها الكثير ولم يتبق له فيها منهم احد

اتصلوا عليه ذات يوم ليسرع الى المستشفى فان حالة ولادة حرجة لابد ان تتم الان . فى ردهة الصالة الباردة انتظر لاكثر من ساعة غامت عينية وكاد يسقط من طوله حين رآها بعد العملية وقد اندفعوا بها الى غرفتها غارقة فى دماءها ارتعد جسده . كانت اهات الالم التى تطلقها بين الحين والاخر اقسى عليه من كل شى صعب مر به . اى تضحية تلك التى يظن نفسه انه قام بها حين تزوجها مقارنة بما يراه الان عندها فقط غامت عينه ولم يستطع ان يمسك دموع انهمرت . حين سالته الممرضة ان كان يحب ان يرى المولود فى الحضانة بدا كانه لم يفهم ماتقول . لا . يريد فقط ان يطمئن عليها ..

" امسكت بيده حين استيقظت من البنج وابتسمت فى ضعفها وشحوب وجهها ثم فزعت وزاغت عينيها " الواد فين . وثبت اليها الممرضة الى الغرفة فى لحظة وطمأنتها ..

بعد قليل كانت تحمل لها شيئا صغيرا يختفى بين لفافات ولايكاد يملأ راحة اليد .

ارتسمت كل حيوط الالوان وحلقت فى فضاء الغرفة وتناثرت الارقام واشارات الضوء فى الجهاز الذى كان يصدر صوتا خافتا فراحت تطوف بالغرفة ريشة مضمخة بالالوان ترسم لوحة لاملامح لها فى الاجواء فقط الالوان زاهية منتعشة كانت يديه كيدى مايسترو يدير سيمفونية لالف الف عازف وكان هذه الشىء الصغير فى الرداء الابيض هو نوتته ومرجعه ومقطوعته التى الفها ويعزفها الان الف الف صوت ولون . حمله فى يده وهو يكاد يخشى عليه من ضمة اصابعه . نظر فى عينيه الصغيرتين واحس حينها بنبضة كادت تشق قلبه .اعطاه لامه وجلس بجواره يشاهد هذا الجزء منه وهو يلتقم ثدى امه فى سكينة وطيف ابتسامة متعبة شاقة لكنها فرحة على وجه امه وهى تترد عينيها بينه وبين ابيه !

- " هل منحتك الحياة فرصة اخرى لتفعل شيئا صحيحا . شيئا واحدا صحيحا " !

. قالها فى نفسه وهو يقود سيارته عائدا الى البيت . حين وصل توقف فى المكان الذى اعتاد الن يركن سيارته فيه اسرع اليه البواب ... لكنه ظل فى السيارة لم يستطع حتى ان يدخل البيت . اطفا المحرك وجلس صامتا . ليس به رغبة فى النوم او ان النوم يهرب من عينيه ، يعانده .

طاف بالسيارة حتى قاده الطريق الى بيتها كان يعلم انها لاتزال مستيقظة . نظر من بعيد الى تلك النافذة المضاءة . تناهى الى سمعه صوت نباح كلبها الصغير تخيله يتقافذ حولها . دق هاتفه .. وجاءه صوتها .

- تعالى ياعاصم انا عارفه انك تحت .

صمت طويلا ... سمع صوت ماء يصب عرف انها تشرب وانها تنفث دخان السيجارة

خرجت الى النافذة ترتدى ثوبا خفيفا رغم اجواء شتاء وبرد يلف الاجواء واشارت اليه بالكوب فى يدها ..

لا لن تغادر السيارة . قالها كأنما يحدث نفسه .

- مالك ياعاصم ؟

... لم يرد

مراتك ولدت ؟! جاءه الصوت كأنه من بعيد .

-.....

- اللى جابلك يخلى لك . مبروك .

وساد صمت رهيب .. اذا كانت دموع حرى تتحدر على خديها وكأس معبأة تجرعنه دفعة واحدة فانساب فى جوفها كحمم بركان .

لم يغلق هاتفه ولاهى اغلقته فقد كان ثمة صوت بكاء يتردد فى الاثير وفى تليفونه المحمول الذى تركه مفتوحا الى جواره وحين ادار محرك سيارته ليرحل كانت زخة مطر قد بللت زجاج السيارة فغامت الاضواء والرؤى ..

انتبه الى انه لم يدخن سيجارة منذ ساعات ! بحث عن علبة سجائره فلم يجدها . عند ذلك الدوران فى اقصى الميناء الشرقى مئات المراكب تستلقى فى هدوء على صفحة الميناء رغد لك النسيم البارد الى يحيط بلك الفضاء الرحب سيجد من يبيبعها انها الرابعة صباحا . اوقف سيارته امام ذلك المسجد وهم بعبور الطريق حين لقيه هذا الرجل فى ثوبه الابيض وعباءته الكشمير متوجها الى المسجد فسلم عليه بود وامسك بيده واصطحبه الى الداخل . اشار له الشيخ بمكان الميضة لكن لايدرى هل توضأ كما يجب فهو لم يكن يعرف . لكنه غسل كل اعضاءه حتى بلل ثيابه . حين دخل المسجد ارتعد جسده لكنه لم يشعر ببرد ثم ادركته سكينة . ووقف لايدرى الا ان دمعا ساخنا ينساب على وجنتيه وقرآن بصوت آسر شجى ياخذه ، يتلوه ذلك الرجل فى الثوب الابيض والعباة الكشمير .

" ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطانا . ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على اللذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " ....

فى صباح اليوم التالى كان قد استيقظ مبكرا ليحضر زوجته وولده من المستشفى وقد استقبله طاقم المستشفى بالترحاب بعد ان علموا انه قد تبرع بمبلغ مالى لقسم الطوارىء وبعد ان وعد بحل بضعة مشاكل تواجهها المستشفى بصفته رئيس الحى الذى تقع المستشفى ضمنه ..

لايتذكر انه راى امه تبكى فرحا الا هذا اليوم الذى دخل الدار وهو يحمل ابنه بين يديه وزوجته فى ذراعه ...

وليس اعجب من ذلك اليوم الذى راح يبحث فيه بين المصلين عن ذلك الشيخ الذى لقيه يومها يرتدى جلبابا ابيضا وعباءة كشمير فلم يجده . ولم يجد احدا يعرفه ولا احدا رآه .

.....

تمت

الاسكندرية فى ٢٥ اغسطس ٢٠٢٥

الله يرحمك يا أمين . قصة قصيرة

الله يرحمك ياامين . الضحكة الحلوة والوجة المبتسم دائما . والشياكة والابهة ....
كنت تشوفه تشعر من النظرة الاولى انه ابن ناس .. ابن عز . باشا باشا يعنى . ملبسه ، هندامه ، اهتمامه بالتفاضيل الصغيرة اختياره للالوان المتناسقة . السيارات الفارهة التى كان يركبها حتى انه كان يستأجر بعضها لايام ثم يعود ليركب سيارته .. كان نزيها سخى اليد . مرحا . ضاحكا ، ساخرا ضاربا الدنيا بحذاءة اللايطالى اللامع . .
. هييه ... الله يرحمك ياامين
حضرنا الجنازة ظهرا ثم السرادق فى المساء . جمعنا السرادق جميعا شلة مافرقتنا الايام على طولها وتفرقنا فى بعضها فى بلاد الله . كانت لدية تلك الموهبة على جمع الناس .موهبة تأسر الاذان اذا حكى وتخطف القلوب .
مكثنا جميعا حتى الربع الاخير من قراءة القران فى المعزى وقرأنا الفاتحة وانصرفنا صامتين وتحركت اقدامنا من تلقاء نفسها ناحية طريق لطالما كنا نسلكه معه الى تلك الكافيتيريا القريبه من الميدان الكبير .استقبلنا القهوجى بترحاب فهو يعرف الوجوه ، ثم عزانا جميعا فقد كان يعرف بوفاة صديقنا .
كنا خمسة رحنا نتذكراياديه البيضاء فى كثير من المواقف حتى جئنا على اكثر ماكان يميزه رحمة الله عليه . خفة دمة وبشاشته ومزاحه فراح بعضنا يذكر بعضا منها ولما كنا نعرفها من طول صداقتنا وصلتنا ببعضنا البعض ماكنا نكمل قصها . حتى ذكر لنا الصديق (م. ن) تلك الحكاية التى كنا اول مرة نسمعها . قال انه حكاها له فى وجود فلان وفلان فضجوا ضحكا . .
جائت القهوة مابين سادة ومظبوط وعلى الريحة لنا فقد كنا جميعا من عشاقها . لكن غاب اليوم فنجان القهوة الكراميل الذى كان يشربه امين
- " ياعواجيز يابتوع السادة ... انا بشربها مسكره ..هى ناقصة مرار " . وكان الله يرحمه عنده سكر!!!
اقتنص صديقنا رشفة من الفنجان كأنه يفتتح حديثة به او ينشط ذاكرته برشفة دافئة فى مساء ليلة باردة من شتاء ديسمبر .كان امين نشيطا فى الجامعة منذ سنته الاولى ، فعالا ، مشاركا فى الانشطة والمجالات والرحلات وهكذا كان ان رشح فى السنة الثانية لانتخابات اتحاد الطلبه وهى انتخابات كان يسيطر عليها الطلبة المنتمين الى الاخوان المسلمين اوالجماعة السلفية . وكان نجاح هؤلاء ليس على هوى الجامعة ولا الأمن فكانوا قد وضعوه منافسا يدعمونه فى اول انتخابات كهذه صراحة او موارية
فكان يحكى لنا كيف كان الأمن يفتعل شيئا لينهى تجمهرا او مؤتمرا اوشيئا من هذا القبيل لهم . وحكى لنا عن تلك المؤامرات الصغيرة التى كانت تدبر من هنا وهنا بين هذا التيار وبينه وزملاؤه الذين كانوا على قلة عددهم فى كنف ورعاية الامن بقوته وسطوته . قال كان ممن ينسق معنا احد موظفى الجامعة وكنا نعرف من بعض زملاءنا الثقات انه يحيا وحيدا وانه كده يعنى ... يعنى واخد بالك .. يعنى .. يعنى "كاظا ماظا " .
كاظا ماظا !!
فهمنا انه غير سوى وله علاقات شاذة يكفيك ان تنظر الى بعض تصرفاته وحركته فتعرف ...
وكنا نتعامل معه على حذر . كنا حينها على علم بكثير من خبايا الجامعة التى لاتظهر الا لمن كان له مثل حضورنا وصلاتنا بهذا وذاك وقربنا من كثير من التعاملات فى ذلك الصرح الضخم الذى يحوى الكثير من الاسرار .

صمت زميلنا لحطة التقط فيها سيجارة من علبته الفضية واشعلها .... سحب نفسا عميقا ملأ به صدره ليستدفى به فقد تسلل الينا برد احاط بالمكان وافرغه دخانا كثيفا راح يتبدد فى الهواء الرطب .. كنا نجلس فى الدائرة الاخيرة من الكراسى حول الترابيزة على رصيف المقهى .. وراحت تمطر مطرا خفيفا حينها كانما دمعات بكاء ..

قال : كانوا يكيدون لنا ويدبرون فكان لايمر طويل وقت الا ويتم التحقيق معنا فى شكوى اننا بددنا اموال كذا او اهدرنا فى كذا بل وصل الامر الى اتهامنا باننا نحن من طبعنا ذلك المنشور الذى وجدوه يوما على جدران الجامعة وفى طرقاتها بتلك الطابعة التى لدينا ...

كانت الطامة الكبرى اننا وجدنا انفسنا ذات يوم يحقق معنا لان ثمة منشورات ومطبوعات تمس أمن البلد وقد وجدت فى مكان نحن من نديره ونمتلك مفاتيحة فاسقط فى يدنا

. "اين كنتم يوم كذا ؟". الحقيقة اننا لم نستطيع ان نثبت كوننا كنا سويا نتمشى وتحملنا اقدامنا بطول الكورنيش من الشاطبى حتى سيدى بشر واسقط فى ايدينا فالتهمة خطيرة وعواقبها وخيمة .

قال لنا الضابط : " دى لابساكم لابساكم ! ياما انتم اللى كتبتم الكلام ده وكنتم فى الجامعه ساعتها او كنتم فى حتة ومش عايزين تقولوا ، كنتم فين ياامين . !

دخل ناجى فى هذه اللحظة وفهمنا انه ايضا يحقق معه

- همس الضابط : انتوا تعرفوا ناجى !؟ ناجى الكاظا ماظا " . كانت الطابعه عهدته هو ايضا متهم ..

- ماله ياباشا ! .

- بيقول انكم كنتم معاه فى اليوم ده

- هو بيقول كده !

- الموضوع حيتحول امن دولة

امن دولة ..لا .... لا ياباشا

ايوه سعادتك كنا عند ناجى ...احنا كلنا ساعتها فى صوت واحد .

" بلا اخف من بلا .. "

ضحك الضابط حتى رأينا حلق حنجرته ! .

عرفنا بعدها منه ان التحقيق معنا تم قفله .لانهم امسكوا بطالب بلحية يعلق المنشور على باب مكتب العميد "

هكذا قال لنا !!! "

هيييه ...

الله يرحمك ياامين .

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى ١٠ نوفمبر ٢٠٢٥

"زيارة السيدة الاولى" قصة قصيرة

تنويه هام اؤكد للقارىء ان احداث هذه القصة كلها ليست من خيال المؤلف وان كل احداثها والشخصيات التى قد تتشابه مع ماحدث فى الواقع هى صحيحة مائة فى المائة فقط غيرنا الاماكن واسماء الشخصيات ونحن غير مسؤليين ولامعنيين بماقد ينشا او لاينشا من خلاف حول هذا اوذاك فنحن لم نضف الا تفاصيل صغيرة لااعتقد انها تؤثر على ....

ولكن ... ! دعك من هذا فكما قلت لك نحن غير مسئوليين ولامعنيين

دعونا نبدأ الحكاية وليكن مايكون ....

ستزور السيدة الاولى المدرسة مع الوفد الاجنبى – انتشر الخبر كالنار فى الهشيم ..

- مدرستنا دى !

- اه .

- فى المنطقة دى ؟!

- اه

-ياستاذ قول كلام غير ده !

- واله زى مابؤلك كده . ..... والف الف سؤال تبع ذلك ..

- متى ؟

بعد اسبوعين ..؟

لقد اختار المنظمون والمانحون المدرسة بعناية فهى فى مكان يسهل تأمينه وحمايته تجاوره شركة ومبنى حكومى مغلق معظم ساعات النهار والليل .. ا

جاء وفد المنسقين طافوا بالفناء والادوار وصعدوا الى اعلى البناية فحصوا كل شىء ودارت اعينهم فى كل ركن تسأل عما خلف الابواب وفى الحجرات وجمعوا الاحصائيات والبيانات ودققت اعين رجل الامن المصرى فى هذا وذالك ثم همس لاحدهم بكلمة .. وهمس احدهم هذا بكلمات لمديرة المدرسة التى انفرجت اسنانها عن ابتسامة باهتة متكلغة تخفى بها انزعاج يبدو جليا على كل ملامحها . كانت تسير خلف هذا الجمع الذى هبط عليها من حيث لاتدرى . لم تكن تعرف اى منهم فقط مسئول امن الادارة الذى كانت عيناه زاغغتين منزعحتان يسير كالقط المبلل خلف الجميع .

فى اليوم التالى جاء وفد اكبر لكنه مختلف ! كانت وكيلة الوزارة ومعها عدد من مرؤوسيها فى المكان بمجرد ان بدا اليوم الدراسى . كانت كلما اصدرت امرا اسرعوا بكتابته فى مذكراتهم واوراقهم التى يحملونها وهم يميلون برؤوسم ليدللوا على ان الامر سينفذ بل " اعتبريه سيادتك نفد بالفعل " .. ..

نظرت مليا وهى تدور ببصرها ناحية المبنى المواجه فلمحته . " منصور حسين " بشاربه الكثيف ولحيتة السميكة .

_ مين ده ؟ تساءلت فى عجب .

- ده العامل .
التفتت الى احد مرؤسيها المنتصب القامة والعريض المنكبين حاد النظرات كالبودى جارد ولقنته التالى : من بكره يمضى فى اى مدرسة تانية . ويبقى يرجع بعد الزيارة .!
ثم كأنما تذكرت شيئا بعد لحظة فالتفتت الى مديرة المدرسة التى كانت خلفها بخطوات ترفل فى عباءتها وحجابها المتعدد اللفات ..
- اسمعى يامريم . خدى اجازة اسبوعين !
....
انجاز والله سعادتك .. ! ربنا يباركلنا فى سعادتك بنتعلم من سعاتك والله . وامن الحاضرون جميعا على كلمات السيد الاستاذ "س " الذى حضر مع وفد الادلرة والمديرية ليروا كل شىء قبل الزيارة باسبوعين .
اسبوعين فقط كانا كافيين ليصبح المكان غير المكان . لا المدرسة هى ولا الناس هى .كان الاسبوعين سباقا محموما لتدك ارضية ساحة المدرسة وترصف وترسم ويقام فيها ملعب للسلة والطائرة واخر لكرة القدم . حديقة غناء زرعت اشجارها وورودها فى تلك البقعة الجرداء . وصف من قصارى شجيرات ورد يانع كانت تزين مدخل المدرسة وبهو القاعات . المدرسة بالكامل طليت فبدت كالعروس فى ذلك اللون الفاتح الجميل المطرز لون اخضر يزين الاطراف والاعمدة . وثمة لوحة جديدة زاهية باسم المدرسة تمتد فوق الباب الحديدى الازرق الذى لم يكن احد قبل ذلك يعرف اى لون كان عليه لكثرة ماكان عليه من اوارق ملصقة وطلاء متقشر باهت لالون له . لوحة رخامية جميلة وضعت بالامس فقط مازال اثر بعض الاسمنت باقيا نديا . دور كامل من مقاعد جديدة وسبورات ومعمل للحاسب الالى انشىء فى ايام تعد على اصابع اليد .
رصفت المحافظة الطريق بطولة ودهن الرصيف على مدى عدة كيلو مترات من المحطة حتى هنا باللونين الابيض والاسود . صف من اشجار الفيكس زرعت على جانبى الطريق الخارجى وقامت الشركة بطلاء سورها الطويل
انجاز والله سعادتك ...
مر الوفد بمعمل الحاسب الالى .ابتسم الشاب مرحبا
- ده حضرتك العشرين جهاز كمبيوتر اللى جبناهم اول امبارح .
- اخرس .. دول هنا من سنه ! ابتلع الشاب ريقه ودهشته ولم ينبث ببنت شفه ! ..
-تعالى ياحكمت . كانت حكمت هى مديرة مدرسة النهضة التجريبية لغات والتى كلفتها بان تكون هى مديرة هذه المدرسة فى هذه الزيارة . رمقتها بنظرة رضا كما رمقها الرجال الجالسون . افسح لها احد الجالسين مقعدا . وجلست شنطة يدها على ركبتيها اللتان كانت الجيبة قد كشفت عن ساقين ملفوفتان كالمرمر السائل ناصعتان كالحليب .وهبت نسمات برفان حريمى عقت انفاس الجالسين بجوارها .وداعبتها وكيلة الوزارة حين لمحتها تمسح قطرة عرق على جبينها ووجهها البيضاوى الذى استدار فى قصة الشعر القصير الا جارسون او كاريه لادرى .

- معلش يامريم بقه مفيش هنا تكييف ذى عندك .. .. ثم اطرقت قليلا بينما كان احد هؤلاء المحيطين ينظم سيل من كلمات المديح والاطراء من فم يعلوه شارب كلاسيكى رفيع ويرتدى بذلة تكاد ربطة العنق الحمراء والصفراء فيها تخنقه .
قطعت كلامه باشارة من يدها موجة حديثها الى صاحبة اللقطة الحالية المديرة الجديدة التى استلمت عملها من دقيقة واحدة
- باقولك يامريم . تعرفى تجيبلنا ييجى عشرين طالب وطالبة من عندكم ..
تدخل الاستاذ "سمير الجندى " مسئول وحدة التخطيط والمتابعة التى انشات حديثا . " لا بنات بس ، لأن المدرسة هنا بنات ومكتوب بنات " .
زغرته الوكيلة بنظرة حادة . –اسكت ياجندى انا عارفه انا باقول ايه ! المدارس بره مشتركة . انت فاكر انهم حيقراوا اليافطة ... اسكت !
وسكت الجندى .
بصوت يكاد يغنى ردت مريم .- سعادتك اللى تؤمرى بيه .. حاضر .. دون ! **Done**
كاد احد الحاضرين يسأل مامعنى دون **Done** هذه !
كانت الزيارة ناجحة جدا جدا واثنى الجميع على المدرسة واشادوا بمديرتها وطلابها النابهين ومبناها الرائع وميدرتها اللبقة الشيك فى بنطلونها الجينز الثلجى اللون والكوتشى البينك .الا ان ثمة خطأ بسيط استرعى انتباه حرم الرئيس السيدة الاولى ..لكنه كان كافيا لوكيلة الادارة ان تشير باعطاء جزاء خصم يومين من مديرة المدرسة التى كانت حينها فى بيتها ترفع ذراعيها وتدعو !!

زكريا الشافعى
١٣ فبراير ٢٠٢٦

ابويا فهمى : قصة قصيرة

كنا قد صلينا العشاء فى مسجد الكتيبة الجديد الذى يقع فى ركن الى جهة الشمال من الكتيبة المتمركزة فى مدخل سيوه فى صحراء مصر الغربية . اجواء دافئة وريح منعشة تهب بين الحين والاخر تداعبنا فى طريق العودة الى اماكننا . رحنا نذكر ان امام المسجد صديقنا خريج الازهر على جميل صوته قد اطال فى القراءة حتى ان الضابط الوحيد الذى كان يصلى معنا عاتبه ! .

وفى الطريق حكى لنا عبد العزيز الذى كان قد قضى من ايامه فى الكتيبة معظم سنتة الثانية لكونه من حملة المؤهلات المتوسطة ...عبد العزيز من اعماق ريف مصر نموذج لخفة الدم والمزاج وقد كان لتوه قد بدا يصلى بعد ان كان يودعنا نحن ذاهبون ويتلقانا حين نعود على مدخل العنبر فيشبعنا تقريعا ومزاحا .. يضع يديه على صدر احدنا يمسحه وينادى مدددداااادد .. او يتشبث بيد احدنا ويقبلها !

–ابويا الحاج.... ابوس القدم .

المهم انه فى هذا اليوم حكى لنا مافعله ابوه فهمى

فى فجر يوم من ايام الثلاثاء تلك الايام التى يعقد فيها سوق قرية كفر بولين البعيدة فى بلدة كوم حمادة . يتاجر فهمى – رجل تجاوز السبعين - فى الاقمشة ، يفترش مكانه فى السوق منذ سنوات بعيدة بصرة ضخمة مليئة بالاقمشة . رجل ابن نكته عركته الدنيا وعاش فيها وتقلب فى حريرها وترابها وذاق حلوها ومرها . بارع فى البيع والفصال . معظم زبائنة من نسوة القرية والقرى المجاورة .... يعرفونه ويعرفن طباعه وكلماته اللاذعة ونظرات عينية الزائغة وكلماته المعسولة . يقضى عامة يومه فى المقهى او عند حافة الطريق الى مدخل البلدة فى ذلك الخص المبنى من البوص والطين اللبن الذى يسكنة "كرارة" . كرارة هذا رجل الذى لاتفارق الجوزة يده . يمكنك ان تسمع الضحكات المجلجلة من اول الطريق عند الجسر الخشبى العتيق على ترعة السلابيه ويمكنك ان تميز بوضوح ضحكات كرارة التى تشبه قرقرة الجوزة وصوت فهمى الزاعق وهو يحكى . كنا نعرف ان فهمى لاسع وله من المواقف مايخرج عن المألوف لكنه كان مرحا يخالط الشباب والكبار ولا يهمه ان تجده فى مقهى "على سوارك" يلعب الدومينو مع شاب فى سن احفاده ويمازحه ويكيل له الكلمات حتى لايملك الحاضرون الا الضحك . او ان يكون بين هؤلاء المنزوين فى خص كرارة يتصاعد دخان الحشيش من بين انفاس الجوزة التى تدور على الجالسين ..

كان من عادته ان يكون فى مكانه فى السوق فى غبشة الصبح قبل طلوع الشمس . دعاه فى الطريق احدهم

- تعال يافهمى صلى الفجر خللى ربنا يسهل لك البيع .

لم تعد الايام كما كانت فقد اصبحت الملابس الجاهزة ايسر واسهل مبيعا لكنه ظل وفيا لمهنته .

- اى والله فعلا الامور لم تعد كما كانت .

وضع فهمى بوقجته بجوار المنبر الصغير وراح فتوضأ كما يعرف ! فلم يكن قد صلى منذ ان ترك كتاب القرية " كتاب االشيخ ابوالنجا "فى ذلك الزمان البعيد !

انعشه الوضوء ... ارتفع صوت

الله اكبر ... الله اكبر ... ... حى على الصلاة ... . قد قامت الصلاة ... قد قامت الصلاة .

وقف فى الصف الاول الذى كان عادة من كبار اهل القرية يؤمهم الشيخ محمد طلبه بلحيته المهيبة ووقاره المعهود .

لكن الشيخ محمد أطال فى الركعة الاولى فكادت تخونه قدماه حتى انقذه الركوع والسجود . وفى الركعة الثانية استند فهمى الى خشب المنبر وراح يبدل قدميه حتى ادركه اليأس وركبه شيطان شخصه وطبيعة نفسه فصاح والرجل يتلو .

" ياحاج محمد ... هى " قل هو الله احد مش من القرآن ... ولا اعطيناك الكوثر !؟ .

وترك الصف وحمل بوقجته .

-" الا يعنى لازم البقرة !؟ " " .. على الطلاق مانى مصلى وراك تانى .... "

وراح وهو على باب المسجد ينوء بحمل صرته الكبيرة يقول : " ولو سألونى فى الاخره ..حاقولهم اه عندكم الشيخ طلبه اسالوه .

... كانو يعرفونه رجل لاسع لكنهم لم يخطر ببالهم هذا . كان الوحيد الذى تمالك نفسه هو الحاج محمد طلبه الذى لم يكن يعرف ابويا فهمى.. الذى ماان انهى صلاته حتى استدار فوجد من خلفه جميعا يخفون وجوههم ويكاد بعضهم يفطس من كتم الضحك !

.. فسألهم : من ده ؟!

قال احدهم - "ماتخدش فى بالك ياشيخ محمد ... ده ابويا فهمى ! "

وقال اخر "- هو فهمى طول عمره كده لاسع ."

وحكى صديقنا هذا حكاية ابويا فهمى لامام مسجد كتيبتنا فكاد يفطس

- الله يهديك ياعبد العزيز انت وابوك فهمى ... قصدك ايه ..

وراح كلما لقيه يساله : بمرح . ابوك فهمى عامل ايه ؟

زكريا الشافعى

الاسكندرية ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٥

القرعة وام شعر قصة قصيره

كانت احد النسوة الجالسات فى دار جدتى قد انتهت لتوها من سرد تفصيلى لحكاية عزيزة مرات محمود عبد القادر التى طلقها وتزوج باخرى !

" اه يامى .. اومال . ! " اللى متاخدو القرعة تاخده ام شعر"

قالتها جدتى وانفجرت النسوة فى ضحك صاخب . اميزها ضحكة ام فاروق جارتنا التى كانت ضحكة نسائية مجلجلة كانها زغروتة ..

كانت جدتى لابى امراة عاقلة رزينة لاتخلو جعبتها - وقد تخطت السبعين عاما - من حكايات وحكم ولطائف . لكن كان اكثر مايميزها تلك الامثال التى كانت تملك منها الكثير حتى اننا نعجب كيف حفظت هذا الكم من الامثال بل نظن احيانا انها هى من ابتكرت بعضه هكذا عفو الخاطر . المهم اننى عرفت الحكاية حين روتها امى لابى فى ذات اليوم فى المساء حين عاد من عمله ووضعت امامه الطعام وراحت تحكى له مثلما اعتادت ان تفعل . كنت على وشك النوم حينها لكن النوم طار من عينى وانا استمع الى الحكاية التى راحت امى ترويها فى ترتيب واسلوب شيق .كنت حينها طفلا لايتعدى السبع سنوات لكننى كنت حاضر الذهن متوقد الذاكرة وكنت اعرف عم محمود هذا فقد كان جار لنا فى البيت الذى يجاورنا مباشرة . واذكر زوجته هذه فقد رايتها عدة مرات . عزيزة ابنه الريس محمد الطباخ وهو احد طباخى الملك فاروق كان رجلا طيبا ذومكانة ومهابة ميسور الحال وقد اضفى عليه عمله لدى الملك شىء اشبه بالحصانة فكانت ابنة تتيه به فى الرايحة والجاية على بنات الشارع بل كانت لاترى اى رجل يليق بها ليكون شريك حياة الا أحد اولئك الافندية ببذاتهم اللامعة المدهونة شعورعم بالفازلين . لذلك كانت تتعجب كيف ان ابوها وافق على محمود عبد القادر هذا حين تقدم اليها خاطبا ولم يكن الا عامل فى مصنع الزجاج عند اطراف حى الرمل . . " الله يسامحك يابا .. ملقيتش غير ده "ة! وهكذا مضت حياة عزيزة مع زوجها اربع سنوات مرت لم تنس يوما ان تذكر زوجها بانها تنازلت وقبلت به او ان يحمد ربه ليل نهار لانه هو وحده من فاز بها فقد خطبها ضابط ومعلم من مدرسة محمد على وخطبها ايضا ابن المعلم حلاوة صاحب محلات حلاوة الشهيرة لكن امها وابيها رفضا .

فى ذلك اليوم الذى رمى علها يمين الطلاق كانت قد تشاجرت معه قبلها بيومين . كانت تريد خادمة للبيت تساعدها فى شغل البيت . . اندهش الرجل وكان قد فاض به الكيل كذلك الكوب الذى امتلا حتى اخره . عيرته بعمله وهددته بابيها فصرخ فى وجهها وفى فورة غضب لعن سنسفيل ابيها وطلقها .. !

باءت كل محاولات الصلح بالفشل اقسمت الام الا تعود ابنتها اليه الا حين يعرف قدرها . وهو امر احتار فيه كل الوسطاء . كيف يعنى يعرف ؟!١ اما الاب فى اوجعته الشتيمة لكنه علمته تجارب السنين ان الايام دواء وان ابنته ستلين مع الايام .

الا ان هذا لم يحدث . مر شهر وشهرين وسنة وبدا ان دماغ ابنته كالحجر الصوان . كان جدتى ذات مرة هى احد هؤلاء الذين توسطوا للصلح بل وعرفت انها اسمعت الفتاة كلاما ثقيلا لم يعجبها حتى قامت غاضبة واغلقت بابها .

لم تذهب جدتى مرة اخرى .

لكم تغير شكل وهيئة الرجل بعد ذلك . حتى انه سقط من طوله ذات يوم فى الشارع حين تعثر فى حجر لم يره . كنت تراه فتحسبة مغمض العينين متورم الجفنين كانه لم ينم فى ليلته تلك وهو ذاهب الى عمله فى طلعة النهار . اوقفه احد الجيران ذات صباح ليحادثة فهمس اليه ان يغلق ازرار البنطلون بعد ان عدل له ياقة القميص الذى بدا انه فى حاجة الى غسيل ومكواه .

كانت اخته تاتية من وقت لاخر من الورديان لتطبخ له وجبة تقيم ظهره وتمسح له الشقة وتغسل

الكام هدمة التى يملكها كانت تتخير ايام الاحاد لانها اجازته فكان يفرح كثيرا بها يسره الحديث اليها فهى من بقيت له فى هذه الدنيا بعد ابيه وامه وانقطاع الصلة بينهم وبين بلدتهم القرية الصغيرة النائية فى محافظة البحيرة .قالت له ان يتزوج بل استطاعت ان تجد له عروسا . نعم كان يحتاج الى امراة تضبط ايقاع حياتة تدفىء فراشه وتجدد انفاس الحياة فى روحه . كان فى حاجة لانفاس اخرى تجاوبة فى تلك الشقة التى باتت كئيبة وزادتها غرفها الفسيحة الصامتة وحشة حتى ذلك الراديو الذى اشتراه لم يذهب وحشته ولااذهبت وحشته تلك الصحف التى اصبح يشتريها فيمضى بها الساعات . لم يبغد يتمشى على الكرنيش ليمضى وقته .التمشية على الكورنيش كانت تثير مشاعره اكثر فقد كان يرى الاحبة والازواج بل وكل اثنين رجل وامراة فتنقبض معدته . . كان يسال نفسه دوما " كيف قست عزيزة هكذا ؟ كيف طاوعها قلبها كل هذه المدة ؟ .كيف وصل الحال به الى هذا الحال . وحيدا يكاد شعر انه سجين يعود اخر النهار او اخر الليل الى زنزانته .راج يتذكرملامحها .. لكن صدى صوتها وكلماتها له دوت فى اذنه من جديد .. " وانت ايه غير شغال عامل .. تحمد ربنا انى رضيت بيك " . " انا بت الريس رجب طباخ الملك "

اخذت اخته صورة فوتغرافية له كان قد التقطها له الخواجة شارو فى ستوديو كابيتانو الشهبر .. اخته سعاد امراة بالف .لديها قدرة عجيبة تتسلل الى قلوب الناس فتجدها قد صادقت البعيد والقريب وعرفت هذه وتلك .مخزون وراثى تمتلكه نساء الريف يدرن به الحوار والمفاصلة والبيع والشراء تملك اخته سعاد حظا وافرا منه .. ..

حين علم اهل الشارع انه على وشك الزواج امتدت عشرات الايادى لتحمل الاثاث الجديد الذى احضرت الى شقته . كان الفرح فى الورديان عند بيت اهل زوجته فلم يكن لمحمود اهل الاخته او بضع اصدقاء من العمل ومن الشارع .. ساعة زمن فقط تلك التى احتفلا فيها لتاتى

السيارة فتحمل العروسين الى بيتهما فى شارعنا . وفى استقبله شباب الشارع بزفة سكندرية اشعلت حماس الناس وضجب البكونات واشبابيك بالاغاريد وبالنساء يلقين الملح والارز .

تزوج محمود مرة اخرى

وخطبت عزيزة لرجل يملك عزبة وبضعة عقارات فى الاسكندرية يقضى الصيف فى بعض شققها مع نساءة الثلاثة الاخريات ! . كان فى مثل عمر ابيها وكان قد اوضح لابيها بان فى ذمته ثلاثة نساء فقط وان الرابعة لم تعد فى عصمته فهى طالق منه . كان رجلا مزواجا وميسورا وقريب الى الاسرة الحاكمة وكان يلتقى الملك على مائدة القمار فى النادى كلما نزل جلالته الى الاسكندرية . حين اخبر الرجل ابنته كان فقط يريد ان يبرىء ذمته ووعده للرجل الذى كلمه اكثر من مرة . يعلم فى قرارة نفسه انها سترفض يقينا كما يعلم ان هذا الرجل اللحوح قد رآها فى احد تلك المرات التى جاءت لترى ابيها فيها

ولدهشته وافقت . وبعد اسبوعين كانت زغروتة قوية رنانة تصدح فى بيت الريس رجب طباخ الملك ..
وخطبت عزيزة لسيد سيده كما حلفت امها " والنبى لأجوزك سيد سيده "

حين قامت الثورة انقلبت الدنيا راسا على عقب وتغيرت اشياء كثيرة .

جلس الريس رجب فى بيته .لم يعد طباخ الملك لانه لم يعد هناك ملك . فتش البوليس الحربى بيته وقلبوه رأسا على عقب لم يجدوا شيئا لكنهم وجدوا صورة للمك فى الحجرة الكبيرة فوق السفرة فهشموها والقوها على الارض .

فى ليلة صامتة كصمت القبور من ايام شتاء العام ١٩٥٣ دق الباب فى بيت الريس رجب فقفز الرجل فزعا . وسار بخطوات حذرة نحو الباب وبصوت مختنق سال مين ؟

كان خطيب ابنته ! لم يطل مقامه طويلا . لكن ماقاله جعل العائلة تقضى ليلتها ساهرة حتى الصباح !

لقد علم انه سيتم القبض عليه عاجلا ام اجلا لم يكن مطمئنا لقد اعد العدة للسفر خارج مصر سيسافر الى لبنان .! عرف الريس رجب انه لن يصطحب زوجاته لانه حين ساله هل ستاخد زوجاتك والاولاد معك !؟ صمت الرجل . فادرك الريس رجب بفطنته انهن رفضن السفر . لكن الغريب ان الرجل جاء فى هذا الوقت الغريب من الليل يحمل شيئا سمه ماشئت الا انه عرض ! يريد ا ن يتزوج سريعا لترافقه زوجته فى سفره او قل هروبه الى لبنان .. ! وتحدث بسرعة واختصار عن مافعله ليؤمن ماله واملاكه فى مصر .

بعد بضعة ايام اقتيد الريس رجب الى امن الدولة فمكث فيها يومين اثنين اشبعوه استجوابا وتحقيقا واسئلة عن كل شىء

واى شىء من اول ماذا كان الملك ياكل ويشرب حتى موضوع خطيب ابنته . لم يكذب الرجل فى شىء قط فهذا الامر كان معلوم للجميع بل حتى امر خطبة ابنته . الا شيئا واحدا حدثته نفسه بالايقول وامسك لسانه . حين سالوه عن اخر مرة ر اى فيها خطيب ابنته .

فر الاجانب وبعض كبار رجال الاعمال كما فر كثير من افراد الاسرة المالكة فقد علموا ان الثورة سيكون لها موقف معهم

باع الخواجه "مساك" المصنع لرئيس عماله واكثرهم خبرة وعلما بيع على الورق لعل يحدث فى الامور امور ويعود . كان على محمود الذى كان هو بعينة رئيس العمال ان ينجز ماعلى المصنع من طلبيات استلم المصنع مقدمها . بقى كل شىء كما هو لكن شيئين فقط تغيرا منذ ان سافر الخواجة : لوحة عريضة عند مدخل المصنع تؤيد وتساند ثورة الجيش والشعب ولوحة اخرى لكنها صغيرة من خشب محفور عليها اسم "الحاج محمود عبد القادر" صاحب ومدير مصنع "جلاس مانجيرى " ليمتد .

فى هذه المره اخذوا الريس رجب ولم يعد بعد يومين ولاثلاثة ولاشهر ولاسنة . بحث اخوه الاصغر عنه فى كل مكان .

اغلقت ابنته عزيزة وزوجته بابهما كانتا قد ادركتا ان الناس اصبحت تخاف من الاقتراب من بيتهما حتى اقاربهما . مرت ايام وشهور واكتمل العام كانت تلك المراة التى تأتيهم كل شهر تحمل اليهما ظرفا فيه مبلغ من المال . كانت هى الوحيدة التى تأتيهم . وكانت هى الوحيدة التى تصطحب الفتاة لتبيع ماكان لدى الاسرة من اشياء قيمة حتى كان اخر ما بقى لها ذهب خطبتها فراحت تبيعة قطعة قطعة .

غى يوم دق باب مكتبة فى المصنع ودلف صبى ليخبره ..

- فيه واحدة ست عايزاك ياحاج !

لم تكن سوى عزيزة واستطاع ان يلمح من خلف الزجاج العربة الحنطور التى تنتظرها . وعرفها رغم ذلك الشحوب البادى على وجهها كانت نبرة صوتها لايمكن ان تخطئها اذنيه. سلمت بصوت خافت وجلست . صمت رهيب لم يجد كلمات يقولها وجلست هى ايضا صامتة . انتظر ان تقول شيئا ما . انتظر ان تقول على الاقل لماذا جاءت . انتظر ان تلتقط انفاسها ان تتجه بوجهها الشاحب نوحه لتبدا الحديث لكنها لم تفعل .. لقد نهضت ببساطة وعادت من حيث اتت . طرقع كرباج قريبا من جسد الحصان العجوز لتتحرك الحنطور حتى اختفى عند نهاية الشارع .

فى لك اليوم كان يتقلب فى فراشه حتى اذن الفجر فى الجامع القريب فقام ليتوضأ ويصلى حين عاد لشتغرق فى نوم عميق حتى ايقظته زوجته !

وفى الاسبوع التالى بداية الشهر فى يوم واحد منه كاان قد ارسل " ام ذكى " تلك المراة التى تاتى دارهم كل شهر لتسلمهم مبلغا من المال ... نظر فى وجه المراة المتغضن وعينيها التى اثقلت الايام جفونهما فضاقت وضعفت .

وراح كأنما يستوثق منها . فحلفت له باغلظ الايمان انها ماجبت سيرة ولا حتى لمحت .

" ياسعادة البيه ربنا يعلى مراتبك ويوسع عليك . ده تتقطع رقبتى ولا انطق بكلمه " .. ثم قالت كلمة جعلت يصمت طويلا قبل ان ياذن لها بالانصراف ويعطيها الظرف ويطمان الى انها تخبئة جيدا فى ملاءتها فلايراه احد ...

قالت " ده حتى هما فاكرين ان خطيبها هو اللى بيبعت الفلوس دى " .

حين عاد متاخر تلك الليلة من بعض اعماله . قبل زوجته الجميلة النائمة بين عينيها . ونظر بحب وامتنان الى طفليه النائمين كملائكة واراد ان يقبلها فامتدت يد زوجته تمنعه . وتشير عليه بعلامة الصمت .

وهى تهمس له " لسه نايمين لو صحيتهم حيسهروك للصبح " .

وفجاة قفز احدهما فتعلق برقيته " هيييييه بابا " " ووثب الاخر من مكانه "بابا جه " .

لم تسنطع الام ان تخفى دهشتها ولاضحكتها . ورمقت زوجها بنظرة رضا ومحبة .

من المؤكد ان امى لم تحكى لابى كل هذا الكلام ولااظن اننى بقيت مستيقظا لاسمع كل هذا الحكى لكن هذه القصة بدت لى انها حدثت هكذا فمحمود وزوجتة وعزيزة وامها وابيها كانوا اناسا عاشوا بيننا فى يوم ما ولعل ابنائهم الذين يتنسمون انفاس الحياة ويعيشون يومنا هذا يقراون هذا ويعرفون ... بل ويعرف غيرهم .

ورحم الله جدتى وصويحباتها وخكمتها الخالدة " اللى متاخدوش القرعة تاخده ام شعر ".

زكريا الشافعى

الاسكندرية ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٥

موقف غريب قصة قصيرة

محمد احمد محمد غريب . يعرفه اصحابه فى الشركة باسم غريب . لتيفرقوا بينه وبين العديد من اسم محمد الذى تسمى به العديد من زملاء العمل . المهم ان محمد احمد محمد غريب او غريب مثلما يناديه اصحابه كان له من اسمه نصيب . جرىء ، صاخب ، مشاكس فظ . لايكبر فى عينيه كبير ولاصغير .يمتلىء ملفه فى مصنع "المنسوجات الحديثة" " مودرن تكس " بالجزاءات والعقوبات ولفت النظر والخصومات لم يدع احدا الا كان بينه وبينه مشاحنة او عراك وسباب ومشاجرة .

غريب كان يعرف كل قوانين العمل ودارس لكل اللوائح العمالية والنقابية ضليع فى معرفة الداخل والخارج ويدس انفه فى مايعرف ومالايعرف . وحين تغيرت ادارة المصنع وجاء مدير ومعه طاقم عمل قرر هذا الرجل ان يفرض اسلوبه وطريقته واستطاع ان يجتذب اليه بعض الوصوليين ، وهى فئة من الناس تجدها فى كل مكان لاتخلو منهم مؤسسة كهذه يعرفون طريقهم جيدا وتتشابه الطرق التى يتبعونها فى ذلك . وراحت الادارة تاخذ من هنا لتضع هناك وتقتنص من هذا لذاك .. حتى جاء اليوم الذى سرح فيه عدد من العمال قالوا عمالة زائدة . لم تكن فى الواقع عمالة زائدة ولكن توزع عملها على الباقيين

واسقط فى يد العمال . وراحوا يفكرون فى ايجاد حل . وكان اول اجتماع لهم على قهوة "سحروت" المقابلة للمصنع والتى حملتها ان وعين خفية حرفيا الى ادارة المصنع .

لم يكن غريب حاضرا بينهم بالطبع .. لكن فى اليوم التالى وقف مدير الادارة وحوله رجالاته وراح بعلو صوته يهدد ويتوعد فى حين كان الجميع مطرقا وجلا تختلج الانفاس فى صدورهم ..

الا غريب الذى فاجاهم برد اخرسهم جميعا .

ورد تهديد بتهديد وشرر بشرر ...

طيلة شهر لم تنقطع لجان التفتيش والمراقبة والامن الصناعى والتأمينات والشئون الاجتماعية والكهرباء والمياة وكل وزارة او مصلحة وهيئة لها صلة بمصنع نسيج "حمدان تكست " ...

كان غريب بارعا فى كتابة الشكاوى ..

واثار مائة سؤال وسؤال لااجابه لها !! ومائة عيب وخطأ ونقص وشىء ما يخالف القانون واللوائح . واين ..واين ... واين ومنها ... اين من يمثل العمال فى النقابة ؟

اين أجر ساعات العمل الاضافية والاجازات ..؟؟

اين افراد الامن .. واين اوراق التامين على هؤلاء العمال ..؟

اين طفايات الحريق واجراءات الامن الصناعى ...؟ ده انتوا سنتكم سوده !

وكان على ادارة المصنع ان تجعل العمال ينتخبون منهم من يمثلهم . رشحت الادارة لهم : سعيد المنياوى . كانوا يكرهونه جميعا . يعملون فى قرارة انفسهم انه هو السافل الذى ينقل الاخبار . ويدرون انه هو الذى تريده الادارة لها السبب ..

فى راحة الغداء القصيرة اجتمعوا عند ماكينة غريب وابلغوه رغبتهم ..

كان غريب اذا تكلم فهو مدفع رباعى الطلقات . لايتخير الكلمات . لايجملها بل ينحتها من صخر ويلقيها تنهمر الكلمات من فمه جلاميد ضخر حطها السيل من عل . لكنه كان جريئا لايهاب احدا .... تعلو نظارته السميكة انفه الكبير المسنن كانف النسر الكاسر وتتقد عينية شررا من خلف زجاجها السميك .لاتستهويه رياضة ولاهواية الا ربما جريدة يدوام على قراءتها ولاتغادر معطفة الى لايخلعه صيفا ولاشتاءا جريدة الحوادث .! . يحضره ها التوجس الدائم من الناس وحرصه الشديد وانعزاله .. كان قد تخطى الاربعين ولازوجة له .. يقولون كان متزوجا يوما ما .. ولايدرون هل طلقها او انها غادرته ورحلت . فى شقته الصغيرة فى المساكن الشعبية التى حصل عليها من المحافظة .يحيا وحيدا لايشاركه فى وحدته الا قطتين يحرص على رعايتهما

حين زار وفد صناعى الشركة وسأل احدهم عن انتاج وسرعة احدى الماكينات كان هو من اسكت المهندس الذى لم يكن يعرف كثيرا عن ماكينته وراح هو يشرح فى عبارات وارقام دقيقة ليرد على السؤال .. من يومها كان هذا المهندس الشاب يتحاشاه كلما رآه ..

- بس انتم جبناء ياجماعه ... مفيش منكم واحد بيستجرى يرفع صوته قدام الادارة اللى واكلة حقوقكم ..

كان يعرف ان الادارة الجديدة ومن قبلها تخشاه اكثر من لجان التفتيش ..!!

فلم يكونوا ينقصونه حقه ولايقتطعون من راتبه .. وكان هو من امسك لسانه وقلمه عنهم طالما لم يضروه .

رشحوه ليكون نائبا عنهم فى النقابة وفى النقابة لمع نجمه فى اول اجتماع حين قام فكال للنقيب التهم وادهش الجميع بذاكرة حافظة واطلاع بالقوانين واللوائح وماكاد الشهر يمر ويتبعه اخر حتى كانت الانتخابات العامة التى ادهشه ان يجد نفسه مرشحا فيها ليفوز باحد تلك المناصب التى ندير هذه النقابة .

اسندوا اليه منصب المدير المالى ! امين الصندوق ! وكان اول مافعله انه قدم شكوى للنائب العام ولمباحث الاموال العامه !

فاتقلت سيارت الشرطة عدد من هؤلاء كان بعضهم يجلس فى فليته بالساحل يقلب تلفونه المحمول الجديد الذى اهدى اليه منذ شهر واحد لينهى بعض الاوراق لصاحب مصنع . وكان بعضهم الاخر جالسا فى شقته فى الساحل الشمالى مع زوجته الجديدة !

سمعت ام سعيد باذنها وهى تنظف خارج غرفة مدير مصنع المنسوجات ماقاله

- الله يخرب بيوتهم هما اللى رشحوه .. ده حيوقف حالنا !

كانت ساعة العمل التى اضافها المدير قد الغيت لكن الغريب ان انتاج المصنع زاد !! !

تغيرت الدنيا .. تغير الناس .. لان غريب نفسه تغير .. صار المتحدث باسم الناس والمدافع عنهم .. احاطوه برعايتهم كما بذل لهم جهده ووقته واهتمامه . واسوه حين ماتت احدى قططه . اهدوه اخرى جمعوا ثمنها جميعا .

وقف المهندس الشاب ينظر الى العمال من خلف الزجاج ويلمح ذلك الاعتداد والروح الجديدة التى يراها . ثمة من تدندن باغنية ويرد عليها القريبين منها ! ومن يسرع ليدرك الماكينة التى خرج الثوب قليلا عن الدرام ..

نقلوا ماكينته التى رفض ان يترك العمل عليها لعمل ادارى اخر .نقلوها الى مكان يكاد يكون خارج عنبر المصنع . عرف انهم يضايقونه . رآه الجميع وهو يصعد الى الطابق الاعلى لمكتب المدير ..

تعالت الاصوات ... كان صوت المدير يطغى على ضجيج الالات . هرع البعض الى مكتب المدير ... وقف صامدا حين احاط به اربعة من هؤلاء يكادون يقفون سدا بينه وبين المدير .لكنه كالمدفع الرباعى سريع الطلقات راح يصف كل واحد بما فيه .. ويكشف عن هذا وذاك مايخفونه ومالا يعلمه حتى مديرهم فوقفوا مبهوتين . وراحوا ينسحبون واحد تلو الاخر حينما اشار عيلهم المدير ان ينصرفوا ويبقى معه سعيد المنياوى فقط . وسكن ذلك البركان الذى كان يهدر منذ قليل . سكن صوت المدير الهادر وقد فجع بما سمع !

كاد على وشك ان يقول شيئا عنه لايجب ان يسمعوه !

طأطأ الرجل رأسه وهدأ كمن صب عليه ماءا باردا .. الارقام تتحدث .. الوثائق موجودة .. وطريق القانون يعرفه كلاهما جيدا .

فى ذلك اليوم المزدحم من ايام الاسبوع انفجرت ماكينة كان غريب يعمل عليها لايدرى كيف اشتعلت النيران سريعا . اسرع بجلب طفاية الحريق اكتشف انها فارغة هبت النيران بسرعة غريبة كأن احدا ما القى عليها زيتا . هرع الى الباب وجده مغلقا .. عرف انه امر مدبر .. راح باسطوتة الاطفاء الحمراء يدق النافذة الضيقة ...

قبل ان يغمى عليه بعد ان خنقه الدخان وامسك الحريق بملابسه سمع دويا وصوت اجش يصرخ وشىء يتحطم ..

كانت اصابته اكبر من ان تشفى . ادركه حارس الأمن الذى جاء عدوا حين لمح وهجا .. كان فى طريقه اليه ليشكره على سعيه لرد ماخصم من راتبه الشهرين الماضيين . لمح ذلك الشخص الذى سكب شيئا واغلق الباب من الخارج .. !

امسكت النيران بالماكينة فحولتها الى كتلة من اللهب وسحب الحارس غريب الذى افاق لثوان ليسر الى حارس الامن بكلمة ...

هرول حارس الامن الى مكتب المدير ودخله مقتحما .. كان المدير جالسا وبجواره ذلك الشخص . كان هو ذلك الذى لمحه منذ لحظات بجلبابه وعمامته الخفيفة !

...

هرعت سيارات الاسعاف الى المكان لتحمل ثلاث جثامين محترقة كانت احداها لغريب نبض ذاهب وروح مفارقة والثانية والثالثة لمدير المصنع ورجل اخر قيل انهما كانا مع غريب حين اشتعلت الماكينة .

لم يشهد احد انه شاهد شيئا او سمع شيئا واقفل المحضر فى تاريخه وساعته !

زكريا الشافعى

ديسمبر ٢٠٢٥

انتظروا المجموعة السادسة وتكملة رواية دنيا